دار
القديس يوحنا الحبيب
للنشر

أيام الخليقة الستة

للقديس باسيليوس الكبير

ترجمة وإعداد
القمص
بيشوى الأنطونى

مراجعة وتقديم
الأنبا بطرس
الأسقف العام

http://coptic-treasures.com

أيام الخليقة الستة

للقديس باسيليوس الكبير

ترجمة وإعداد
القمص بيشوى الأنطونى

مراجعة وتقديم
الأنبا بطرس الأسقف العام

http://coptic-treasures.com

اسم الكتاب : أيام الخليقة الستة للقديس باسيليوس الكبير
ترجمة وإعداد : القمص بيشوى الأنطونى
مراجعة وتقديم : الأنبا بطرس الأسقف العام
الطبعة : الأولى
الجمع التصويرى والنشر : دار القديس يوحنا الحبيب للنشر ت : ٢٤٤٨٦٧٢
١ شارع تيمور - سانت فاتيما - مصر الجديدة
المطبعة : مطبعة دير البرموس
التوزيع : مكتبة الرجاء ت : ٢٤٤٥٧٧٤
١٨٦ شارع النزهة - سانت فاتيما - مصر الجديده
رقم الايداع : ١٤٤٩٥-٩٦

http://coptic-treasures.com

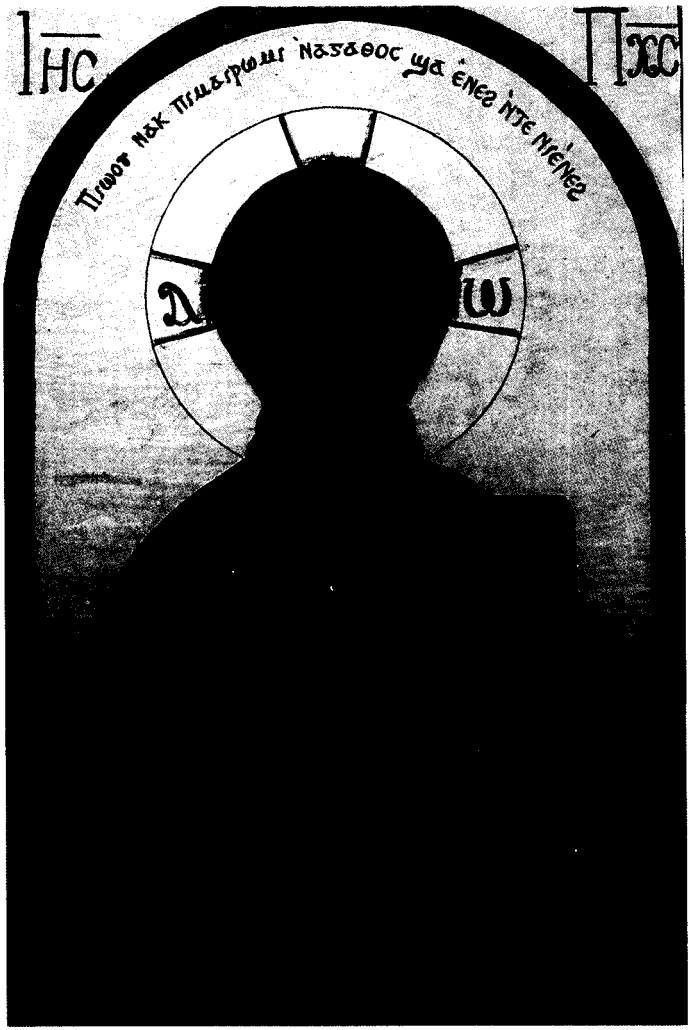

http://coptic-treasures.com

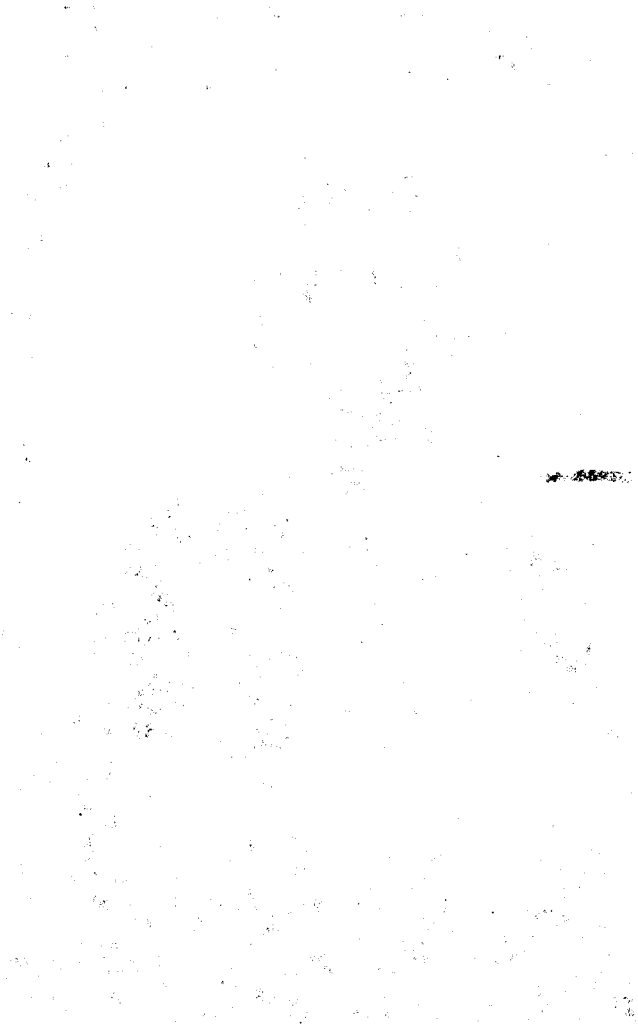

http://coptic-treasures.com

البابا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

http://coptic-treasures.com

http://coptic-treasures.com

تقديم

لنيافة
الأنبا بطرس
الأسقف العام

القديس باسيليوس الكبير
رئيس أساقفة قيصرية الكبادوك (٣٢٩ - ٣٧٩م)

+ ولد سنة ٣٢٩ فى مدينة قيصرية من أسرة متدينة محبة للفقراء وللعلم والبحث فكان يرى الأمثلة الصالحة والبيئة الصالحة وتأثيرها القوى عليه .
+ وهو من أصل عريق ثابت فى الإيمان حتى فى أحلك ظروف الإضطهاد .
+ درس الفلسفة والفصاحة والبيان وتعمق فى علم التاريخ وبرع فى اللغة اليونانية وآدابها وفلسفتها .
+ سلك فى طريق الرهبنة والنسك ورحل إلى برارى مصر سنة ٣٥٧ وطاف فى أرجاء فلسطين وبلاد ما بين النهرين وسوريا .
+ لما أصبح أسقف على قيصرية الكبادوك تفرغ تماماً لخدمة الأسقفية وعمل على دراسة الليتورچيات وهو الذى رتب القداس الباسيلى الذى يحمل أسمه وثقف الكهنة وتمتع بسيرة رضية وكان مثالاً للراعى الصالح الذى يهتم بشعبه من كل ناحية .
+ بنى القديس باسيليوس مدينة المحبة التى سميت (البازلياد) فكانت تضم مدارس مهنية

http://coptic-treasures.com

ودوراً للأيتام وغيرها وصارت مدينة للفقراء والمرضي والمحتاجين ـ كما بنى مثلها فى كل عواصم المقاطعات العامة .

+ كان صديقاً للقديس غريغوريوس النزينزى صداقة خالدة .

+ سمى بالكبير حيث جعل من إيبارشيتة نقطة إنطلاق لعمل واسع يهدف إلى بناء وتثبيت الكنيسة فى الشرق كله . فهو «عمل وعلم» . لهذا يدعى عظيماً وكبيراً .

+ إعتلت صحته أخيراً بعدما ساد السلام فى الكنائس كلها ومات عن ٤٩ سنة فى بداية عام ٣٧٩ .

الهيكساميرون أو أيام الخليقة الستة :

هو من أعظم كتابات القديس باسيليوس الكبير وهو نافع جداً لكل دارس فى الكتاب المقدس ـ وهذا الكتاب سبق أن ترجم للعربية منذ حوالى تسعة قرون ونصف وذلك سنة ١٠٥٢ ميلادية حيث ترجمه العلامه عبد الله بن الفضل الأنطاكى .

وبالتالى هذا المجهود العظيم الذى بذله الأب القمص يشوى الأنطونى فى إعادة ترجمة هذا الكتاب هو إضافة عظيمة للمكتبة العربية المسيحية فى تفسير الكتاب المقدس وخاصة من تراث الآباء العظام ..

نرجو لكل قارىء لهذا الكتاب الإستفادة الروحية المرجوة والإستفادة من عبير آباء الكنيسة العظام الذين تركوا لنا هذا التراث الخالد . بصلوات صاحب القداسة والغبطة البابا شنودة الثالث وشريكه فى الخدمة الرسولية نيافة الحبر الجليل الأنبا يسطس أسقف ورئيس دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس أب الرهبان الذى هيىء الفرصة لأبونا القمص بيشوى الأنطوني ومن ساعده من الآباء الرهبان لإخراج هذه الدرر النفيسة ونهنئه على مجهوده وإلى الأمام فى ترجمات أخرى .

الأنبا بطرس

الأسقف العام

http://coptic-treasures.com

المقدمة

السداسية هى عنوان لتسع عظات القاها القديس باسيليوس الكبير عن نشأة الكون فى الاصحاحات الأولى من سفر التكوين .. وهى عظات رائعة ، وجدنا أنه من المفيد لكنيستنا القبطية وشعبها الأصيل المبارك ، سلالة القديسين ، ان نقدم لهم هذا العمل المتواضع ، وهو ترجمة للهيكساميرون أو ستة أيام الخليقة كى يتمتعوا معنا بأقوال آبائنا القديسين . وقد أتت الفكرة منذ زمن بعيد فى أواخر السبعينات، حينما استمعنا لأحد عظات قداسة البابا شنودة الثالث وتحدث فيها عن سداسية باسيليوس باعجاب ، وهذا ما حدا بنا إلى ترجمة هذا العمل العظيم .. وان كانت السداسية لا تتحدث باسهاب عن خلقة الانسان فى العظة التاسعة ، ولكن القديس افاض فى التحدث عن جميع المخلوقات التى لله والمذكورة فى الاصحاح الأول لسفر التكوين ، وعندما تحدث عن خلقة الإنسان ذكر فقط ما يخص علاقة الابن بالأب فى قوه «كصورتنا وكشبهنا» .. ولا انسى أن أنوه أن هناك بعض الكلمات التى وضعت بالإنجليزية كما هى موجودة فى- The Nicene and Post Nicene Fathers - second series volume vii - Basil - on the Holy spirit letters التى أخذنا عنها الترجمة ، حتى يرى القارىء إن كان يجد لها معنى أو ترجمة أفضل مما كتب .كما أسأل القراء الأحباء أن يغفروا لى تقصيرى وجهلى إذا كان هناك بعض الأخطاء ، شاكراً محبتهم .

وهنا يجب أن أشكر جميع الذين قدموا المساعدة سواء بترجمة بعض الأجزاء أو الذين ساعدوا فى مراجعة اللغة من الآباء الرهبان زملائى بالدير ، بل وكل من ساهم فى إخراج هذا العمل للنور ، ولابد هنا أن أذكر الجهد الوافر الذى قام به نيافة الأنبا بطرس الأسقف العام الذى قام بطبع ونشر الكتاب ولم يألُ جهداً فى مراجعته ، بل وكل العاملين معه . كما أشكر نيافة الحبر

http://coptic-treasures.com

جزيل الاحترام الأنبا يسطس رئيس دير الأنبا أنطونيوس العامر ، الذي شجعنا بكلماته المباركة لإتمام هذا العمل . وليكن هذا العمل سبب بركة لكل من ينهل من كلماته ، ببركة شفاعة أمنا العذراء أم الخلاص ، والقديس العظيم أنبا أنطونيوس شفيع ديرنا ، وبركة صلاة القديس باسيليوس الكبير . وبركة وصلاة أبينا القديس البابا شنودة الثالث الذى أضاء بتعاليمه المسكونة . ولإلهنا كل المجد إلى الأبد آمين ..

بيشوى الأنطونى

http://coptic-treasures.com

مقدمة السداسية

هى عنوان لتسع عظات القاها القديس باسيليوس (الكبير) عن نشأة «**السداسية**» الكون فى الإصحاحات الأولى من سفر التكوين ، ولا يعرف تماماً أين ومتى القيت ..

وكانت هذه العظات تلقى فى الصوم الكبير فى الخدمتين الصباحية والمسائية ،وواضح أن المستمعين اليها كانوا من طبقة العمال (عظة ٣ :١) ، وبعض الكلمات الواردة فى العظة الثامنة أيدت فكرة أن هذه العظات قد ألقيت ارتجالياً ، وهذا يأتى مطابقاً لما عرف عن طريقة القديس باسيليوس فى الوعظ وهناك أيضاً دلائل داخلية تشير إلى نفس الاتجاه . وبالرغم من وجود اختلاف واضح بين الأسلوب المعد للقراءة مثل Sancto Do Spiritu الخطبة الملقاة على عامة الشعب ، فقد بدت السداسية كما لو كانت مقالة ولكنها غير مكتوبة .

فى العصور الأولى كانت أعمال القديس باسيليوس تعد من أعظم الأعمال التى يحتفون ويعجبون بها .. وضعها فوتيوس (Migne , Pat. Gr. cxli-Photuis) فى المرتبة الأولى ، وتحدث بحماس عن بلاغتها وقوتها ، وكمثال لفن الخطابة كان يضعها فى مرتبة أعمال افلاطون وديموثنس . (Demothenes) وسويداس (Suidas) يميزها بمديح خاص . وجيروم (Deviris Illust.) يذكر السداسية فقط ضمن أعمال باسيليوس , (The De Sp. Scto Contra Eunomius.) . وكان أصحاب باسيليوس فخورين بالسداسية ، وهذا شىء متوقع إذ يقول القديس غرغوريوس النزينزى : كلما أمسك بالسداسية فى يدى واقتبس كلماتها ، أصير فى حضور الله وجهاً لوجه ، وابتدىء فى فهم طريقة الخلق وأشعر برعدة لم أشعر بها من قبل ، حينما أنظر بعينى فقط عمل الله . ويتكلم القديس غوريغوريوس أخو القديس باسليوس فى سداسيته بأسلوب التعظيم عن عمل باسيليوس ولقبه بالملهم ، وكان رأيه الخاص أنه عمل رائع كعمل موسى .

http://coptic-treasures.com

وهناك سداسية امبروسيوس والتى تعتبر تقيداً أكثر منها ترجمة لعمل باسيليوس . وقد ترجمت سداسية باسيليوس إلى اللغة اللاتينية بيد اوسطاسيوس (Eustathius Afer - c.A.D. 440) وقيل أيضاً أنها تُرجمت بيد ديوناسيوس اكساجوس (Dionysius Exiguus وهو راهب ساكسونى من القرن السادس ، وله يرجع الفضل فى تدوين الأحداث التاريخية منذ ميلاد المخلص .

وكانت تعتبر اختصارات الانجلوساكسون الأكثر أهمية بالنسبة للقراء الإنجليز والمنسوبة إلى الفريك رئيس دير القديس البانس (St. Albans) عام ٩٦٩م ، ومعروف للبعض الآخر إن الفريك هذا هو رئيس أساقفة كانتربرى من سنة ٩٩٦ إلي سنة ١٠٠٦ ، وهذا الكلام موجود فعلاً في مخطوطة فى (Ms. Junius 23) في مكتبة بودلين ، وقد وجد أنه مطابق للمخطوط (Junius 47) فى نفس المكتبة ، وهو نسخة طبق الأصل لمخطوط فى مجموعة (Hatton) بقلم الموقر هنرى نورمان وترجمته التى نشرت فى عام ١٨٤٨ ، والتى لا تعتبر ترجمة حرفية على الإطلاق ولكنها تتماشى مع أفكار القديس باسيليوس فى مقتطفات من تفسير سفر التكوين للكاهن الموقر بيدى (Bede) مثلها مثل النسخة الأصلية . وكانت تحت عنوان

(STI BASILII EXAMERON , JET BE GODES SIX DAGA WEORCVM ...)

ولكن لأجل الحقيقة لم يكن باسيليوس متقدماً فى العلوم عن أهل زمانه ، ولكن يحق لنا القول أنه كان متمشياً معه ، مع استثناء وضوح علومه الجغرافية .

http://coptic-treasures.com

العظة الأولى

فى البدء خلق الله السموات والأرض

١ ـ من الجيد أن أى شخص يبدأ فى سرد قصة تكوين العالم ، لابد أن يبدأ بالنظام الجيد الذى يتحكم فى الأشياء المرئية . اننى على وشك أن اتكلم عن خلقة السماء والأرض التى لم تكن تلقائية أو عفوية كما تخيل البعض ولكنها استمدت نشأتها من الله .

أى اذن تستحق سماع مثل هذه الرواية ؟ وبأى جدية تتأهب الروح نفسها لتتلقى مثل هذه الدروس الرفيعة ؟ وإلى أى مدى يكون نقائها بعيداً عن الشهوات الجسدية ؟ وكيف تكون غيرملوثة بقلق العالم ؟ .. كم تكون نشطة وغيورة فى أبحاثها ؟ وإلى أى مدى يكون طموحها حتى تجد فيما حولها فكرة عن الله تكون جديرة به ؟؟ .. ولكن قبل موازنة عدالة هذه الملاحظات ، وقبل اختبار كل الأفكار التى تتضمنها هذه الكلمات القليلة ، دعونا نرى من الذى يوجهها إلينا ! لأنه وإن كان ضعف عقولنا لن يسمح لنا بإدراك عمق أفكار الكاتب لذا سنرغم على الإيمان بكلماته من أجل قوة سلطانه ...

إنه موسى النبى ... الذى دون لنا هذا التاريخ ، موسى الذى وهو مازال رضيعاً قيل عنه أنه "كان جميلاً جداً" (أع٧:٢٠) ، موسى الذى تبنته إبنة فرعون ، الذى تلقى منها التعاليم الملكية ، والذى تربى على أيدى معلمين وحكماء من مصر ، موسى الذى ازدرى ابهة الملك ... ولكى يشارك شعبه فى حالته الذليلة ... فضل أن يضطهد مع شعب الله عن التمتع بمباهج الخطية . موسى الذى تلقى من الطبيعة هذا الحب للعدالة حتى أنه قبل أن يوكل إليه قيادة شعب الله ، وببغض طبيعى فى داخله للشر ، قد أكره على مطاردة المجرمين حتى إلى حد عقابهم بالموت . موسى الذى نُفى بواسطة من أحسن إليهم ، أسرع بالهروب من الإضطرابات فى مصر

http://coptic-treasures.com

ليختبىء فى مديان فيعيش هناك بعيداً عن أى مطاردات أخرى . فعاش هناك أربعين عاماً فى تأملات فى الطبيعة وأخيراً فى سن الثمانين رأى الله . هذا الذى يستحيل على إنسان أن يراه أو بالأكثر لم يسبق لإنسان أن رآه ، وكشهادة الله نفسه «إن كان بينكم نبى للرب فبالرؤيا استعلن له فى الحلم أكلمه . أما عبدى موسى فليس هكذا بل هو أمين فى كل بيتى . فما إلى فم وعيانا اتكلم معه لا بالألغاز وشبه الرب يعاين» (عدد١٢ :٦-٨) ، انه هذا الرجل الذى وجده الله مستحقاً أن ينظر إليه وجهاً لوجه كالملائكة ، والذى نقل إلينا ما تعلمه من الله .

دعونا نستمع إذن لهذه الكلمات ، كلمات الحق التى كتبت "ليست بكلام الحكمة الإنسانية المقنع" (١كو٢ :٤) بل بإرشاد الروح القدس . كلمات دونت تنتج عنها لا تصفيق المستمعين إليها بل خلاصاً لمن يسترشد بها .

٢- فى البدء خلق الله السموات والأرض ... لقد توقفت مبهوراً بالإعجاب لهذه الفكرة ... ماذا أقول أولاً ؟! من أين سأبدأ قصتى ؟! هل سأقدم بطل الأمم ؟! هل سأمجد حقيقة إيماننا ؟!

لقد أثار الفلاسفة اليونانيين ضجة كبيرة لشرح الطبيعة ولكن لم تبق نظرية واحدة من نظرياتهم ثابتة وغير مهزوزة . كلها تتغير مع ظهور خليفاتها . فليس هناك داع لتفنيدها ، فجميعها كفيلة بتحطيم بعضها البعض ... ومنعهم جهلهم عن أن يدركوا وجود الله فلم يعترفوا به كمصدر للخلق مما أدى بهم إلى نتائج مخجلة ، فلجأوا إلى أصول المواد وارجعوا أصل الخليقة إلى العناصر الطبيعية . وتخيل البعض الآخر أن طبيعة العالم المرئى ترجع إلى إتحاد الذرات والأجسام الواحدة الخلية والجزيئيات ، وظنوا أن إتحاد الذرات وانفصالها ينتج عنه المواليد والوفيات وذهبوا إلى أكثر من ذلك فى أن سبب تكون الأجسام الطويلة العمر يرجع إلى قوة التصاقها معاً ، ونسج هؤلاء الكتاب خيوط العنكبوت عندما ارجعوا أصل السماء والأرض والبحر إلى شىء فطرى ضعيف حقير ، ويرجع سبب ذلك إلى أنهم لم يتمكنوا قول «فى البدء خلق الله السموات والأرض» ، فخدعهم الحادهم وصور لهم أنه ليس هناك شىء يتحكم فى الكون ، بل

http://coptic-treasures.com

كل ما به يتم بمحض الصدفة لذا قام كاتب قصة الخلق بتسجيل تلك الكلمات فى مقدمته وهى : "فى البدء خلق الله" وذلك لئلا نقع فى خطأ الملحدين لهذا ربط فى مفهومنا اسم "الله" بقصة الخلق .

إنه لترتيب رائع ومبهر فوضع هذه المقدمة لئلا يتوهم البعض أن العالم لم يكن له بدء ، وأضاف كلمة "خلق" ليظهر أن كل ما تم خلقه لم يكن إلا جزء صغير من قدرة الخالق . كما يقوم الفخار بعمل العديد من الأوانى ولكن فى جميعها لم يستنفذ فنه أو موهبته . فقدرة خالق الكون على الخلق لا يحدها عالم واحد ، فهى تستطيع أن تخلق إلى مالا نهاية ولكنها تحتاج إلى إرادته هو حتى تعطى هذا العالم وجودا . فلو كان صواباً أن العالم له بدء والبدء خلق بطريقة ما ، فمن إذن أعطاه هذا البدء ومن خلق ؟! ... وقد توقع موسى مثل هذه المعتقدات التى قد تبعد بنا عن الحقيقة فوضع هذه المقدمة أمام أعيننا وفى قلوبنا ، "فى البدء خلق الله" .. فإنه هو ، إلهنا الصالح ، الذى يفوق صلاحه كل مقياس ، الجدير بحب كل خليقته العاقلة ، الله هو الجمال الذى يرغبه كل إنسان ، مصدر الخليقة ، والحياة ، نور العقل ، وحكمة لا سبيل إلى فهمها ، إنه هو الذى "فى البدء خلق السموات والأرض" .

٣ـ أيها الإنسان ، لا تتخيل أن الكون ليس له بدء أو أن دوران الأجسام السماوية في مدار دائرى يجعله صعب علينا أن نحدد بداية الدائرة ، فلا تصدق أن تلك الأجسام التى تدور حركة دائرية ليست لها بداية . فبدون شك يستحيل علينا أن نحدد نقطة بداية أو نهاية أية دائرة ولكننا لا نأخذ ذلك فى الحسبان فنحكم عليها أنه ليست لها بداية ، فنحن لا ندركها ولكن ذلك الرسام قد بدأ منها عندما رسم نصف القطر فى المركز . لذا عندما تنظر الأشكال التى تتحرك حركة دائرية منتظمة بدون أى تداخل ، لا تضع فى مخيلتك أن العالم أيضاً ليس له بداية أو نهاية ، "لأن هيئة هذا العالم تزول" (١كو٧:٣١) ، و"السماء والأرض تزولان" (مت٢٤:٣٥) . فى هذه الكلمات القصيرة التى كتبت فى مقدمة التاريخ الملهم أعلنت عقائد الآخرة وتجديد الكون .

"فى البدء خلق الله" ... فذلك الذى بدأ فى البدء ، كُتب عليه أن ينتهى فى ملء الزمان . فإذا كانت هناك بداية لا تشك فى وجود النهاية . إذن ما فائدة علم الهندسة ، والعمليات

http://coptic-treasures.com

الحسابية ، ودراسة الأجسام الصلبة وعلم الفلك ، لو أن دارسيها تخيلوا أن العالم خالد خلود الخالق ، خلود الله ذاته ، إذ أنهم اعطوا ذات المجد ، الذى لطبيعة الخالق غير المدركة وغير المرئية ، للكون المحدود ذى الجسم المادى . فهم لا يدركون أنه يجب على المجموع أن ينتهى ، إذ أن أجزاءه معرضة للتحلل والتغيير لذا نهاية الكون حتماً ستكون بنهاية أجزائه . "لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا فى أفكارهم وأظلم قلبهم الغبى . وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء" (رو١ :٢١-٢٢) . كما أكد البعض أن السماء تُزامن الله فى الوجود منذ الأزل وإلى الأبد (ارسطو) ، وقال آخرون أن الله ذاته لا بداية له ولا نهاية وهو أساس النظام الخاص لكل الأشياء .

٤- بلا شك ، ستكون إدانتهم فى يوم من الأيام عظيمة لما اظهروا من حكمة أرضية بالرغم مما اثبتته لهم سائر العلوم إلا أنهم رفضوا إدراك الحقيقة ، فهؤلاء الذين يقيسون بعد النجوم ويصفونها ، تلك التى فى الشمال المتوهجة على مرأى بيننا والأخرى التى فى الجنوب يراها القاطنين هناك ، هؤلاء الذين يقسمون المنطقة الكروية الشمالية ودائرة البروج إلى أجزاء بلا حصر، الذين يتابعون بكل دقة اتجاهات النجوم وأماكنها الثابتة وميلها ثم عودتها والوقت الذى تتخذه كل منها لتطور نفسها ، هؤلاء اكتشفوا كل شيء عدا شيء واحد : حقيقة الله ، خالق الكون والديان العادل الذى يجازى كل أعمال الحياة بحسب استحقاقها . فعجزوا عن أن يعرفوا ذواتهم لإدراك فكرة اكتمال الأشياء التابعة لمبدأ الدينونة ، فيدركوا ضرورة تغير الكون بتغير الأرواح وانتقالها من هذه الحياة إلى حياة جديدة . وفى الواقع ، مادامت طبيعة حياتنا هذه مرتبطة بهذا الكون ، إذن ففى المستقبل ستتمتع أرواحنا بطبيعة مماثلة لكونها الجديد . ولكنهم بعيدين كل البعد عن إدراك مثل هذه الحقائق ، فهم يضحكون إذا ما ذكرنا أمامهم نهاية كل هذه الأشياء وبعث لأخرى . ولأن لكل شيء بداية تسبقه ، وضع كاتب هذه الكلمات فى مقدمته عندما بدأ يحدثنا عن الأشياء التى يرجع أصلها إلى زماننا الحاضر "فى البدء خلق الله" .

٥- ويبدو أنه قبل وجود هذا العالم قد وجد ترتيب لبعض الأشياء ، ويستطيع عقلنا البشرى أن يكون فكرة عنها ، ولكننا لا نستطيع أن نقول شيء عنها ، إذ أنه موضوع عالى المقام ، لمن

http://coptic-treasures.com

هم فى البداية ، وبمعنى آخر لمن هم معدودين أطفالاً فى المعرفة . وقد سبق نشأة الكون وجود بعض الأشياء المتفقة وعمل القوة الخارقة ، وتتخطى حدود الزمان اللامحدود والأبدى ، وقد اتقن خالق الكون أعماله فيه ، فهو النور الروحى الذى أسعد كل من يحبون الرب ، العاقلين وغير المرئيين الذين يصعب على عقولنا إدراك نظامهم أو حتى معرفة أسمائهم فهم جوهر ذلك العالم غير المرئى ، كما علمنا معلمنا بولس الرسول "فإنه فيه خلق الكل ما فى السموات وما على الأرض ، ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين" (كو١ :١٦) ، أم فضائل أم حشود ملائكة ، أم كرامات طغمات الملائكة الرئيسين . أخيراً ، كان ضرورياً أن يضاف كون آخر لذلك القائم ، كون جديد يُعد مدرسة ومحل تدريب تتعلم فيه أرواح البشر ، ويكون محل سكنى لهؤلاء المقدر لهم أن يولدوا ويموتوا ، لذا خلق هذا الكون من طبيعة مماثلة للآخر ، تعيش فيه الحيوانات والنباتات ، وتموت هذه وتعيش أخرى بدون توقف على مر الزمان ، الذى ينعدم فيه وجود الماضى والمستقبل ويهرب الحاضر قبل أن نلحق به ، وهذه أيضاً هى طبيعة المخلوق الذى نعيش فيه ، كتب عليه أن ينمو ويموت بدون راحة أو استقرار .

لذا ، أجبرت أجسام الحيوانات والنباتات أن تتبع تيار واحد يحملها إلى الميلاد أو الموت ، تعيش فى وسط خلائق طبيعتها معرضة للتغيير ..

لذا فإن كاتب قصة الخلق لم ينس أن يضع لنا هذه الكلمات فى مقدمة كلامه "فى البدء خلق الله" ، وهو يعنى فى بدء الزمان ، فلو كان قد جعل للكون نظير فى البداية ، لم يكن هذا دليلاً على اسبقيته لسائر الأشياء التى خلقت . لهذا قال انه بعدما خلق العالم غير المرئى والعاقل ، بدأ العالم المرئى ، عالم المحسوسات فى الظهور . فأول حركة تدعى "بداية" ، "أن تفعل صلاحاً هو بداية الطريق الصالح" (أم٢ :٩) .

فالأعمال هى حقاً الخطوات الأولى للحياة السعيدة ، مرة ثانية نقول «بداية» وهى الجزء الأساسى الذى يقوم عليه الشىء ، فهى الأساس الذى يبنى عليه البيت ، وهى عارضة السفينة الرئيسية . وبهذا المعنى جاءت الآية "بدء الحكمة مخافة الرب" (أم٩ :١٠) وبمعنى آخر تعد التقوى أساس الكمال ، كما أن الفن هو بداية عمل الفنان ومهارة بصلائيل الفنية بدأت تزيين

http://coptic-treasures.com

خيمة الإجتماع . ودائماً ما يكون الصلاح أو ما وراء كل شيء ، هو بداية كل شيء . واستحسان الله هو بداية العطاء والصدقة والنهاية المعطاة لنا في وعوده هي بداية أعمال الفضيلة .

٦ـ هذه هي المعاني المختلفة لكلمة "بداية" ، فتخيل لو لم نعط كل المعاني . فأنت قد تعلم الحقبة الزمنية التي تكون فيها هذا الكون إذ أنك رجعت إلى الماضي ، وقد تسعى جاهداً لمعرفة اليوم الأول إذن ستعرف ماهية حركة الزمان الأولى فتدرك أن السموات والأرض خلقتا لتكونا الأساس وبعدها خلقت الأشياء المرئية في ترتيبها ، كما تدل على ذلك كلمة بداية ـ وستكتشف في النهاية أن الكون لم يخلق بمحض الصدفة أو بدون سبب ، ولكنه خلق لمنفعة كل المخلوقات فهو المدرسة التي تدرب فيها الأرواح العاقلة ذواتها ، وهو الأرض التي يعرف فيها الإنسان الله ، إذ أنه في رؤية الأشياء المرئية والمحسوسة ، ينقاد العقل إلى التأمل في الأشياء غير المرئية ، وكما يقول معلمنا بولس الرسول في (رو١ : ٢٠) "لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات" وقد تكون هذه الكلمات «في البدء خلق الله» دلالة على لحظة الخلق السريعة . فالبداية هي لحظة لا تنقسم كما أنها لحيظة . فبداية الطريق ليست هي الطريق وبداية البيت ليست هي البيت ، لذا فبداية الزمان ليست هي الزمان ، ولا حتى أصغر جزء فيه . فلو قال أحدهم أن البداية هي الزمان فيجب عليه أن يطوعها لتقسيم الزمان إلى : مقدمة ووسط ونهاية . أنه لأمر يدعو إلى السخرية أن نتخيل بداية للبداية ، والأكثر من ذلك لو قسمنا البداية إلى اثنين ، إذن تكون اثنين بدلاً من واحد أو بالأحرى العديد ، إذن ستؤدى بنا إلى مالا نهاية إذ كل ما يقسم هو عرضة لأن يقسم إلى مالا نهاية . لذا فإنه "في البدء خلق الله" تعلمنا أن الله خلق الكون بإرادته في أقل من لحظة ، ولنوضح المعنى أكثر ذكر بعض المفسرين «الله صنع اجمالاً» أي مرة واحدة وفي لحظة . عموماً نكتفي بهذا القدر على البداية وإن كانت هذه النقاط قليلة .

٧ـ ضمن الفنون ، نجد البعض ينتج ، آخرون يمارسون وآخرون يخرجون النظريات . فوظيفة الأخير هي تدريب للفكر ، ووظيفة الثاني هي حركة الجسم . إذا توقفت ، توقف الكل ولا شيء آخر يرى . لذا ليس للرقص والموسيقى شيئاً في باطنهم ، فليس لهما هدف إلا ذواتهما . أما بالنسبة لأعمال الفنون الخلاقة ، فإن العمل يبقى بعد إنتاجه ، مثال ذلك الفن المعماري وهو من

http://coptic-treasures.com

الفنون التى تعمل فى الخشب والنحاس الأصفر وأعمال الغزل ، فحتى بعد إختفاء الفنان يظهر روعة خلقه ، وتدعو إلى الإعجاب بخالقها على أساس عمله . والكون هو خلق فنى عرض لكى يراه كل البشر ليؤمنوا بخالقه ، وموسى لا يستخدم أية لفظة أخرى "فى البدء" كتب موسى "خلق الله" ولم يقل «صنع الله» أو «شكل الله» بل «خلق الله» لو أن الكون زامن الله منذ الأزل ، لأنكر البعض أن الله خلق الكون وقالوا أنه وجد تلقائياً على أنه ظلال لقدرة معينة . ويقولون أن الله سببه ولكنه سبب لا إرادى كما أن الجسم سبب الظل والشعلة سبب الضوء . ولكى يصلح هذا الخطأ ، كتب النبى بكل دقة "فى البدء خلق الله" فلم يجعل الشىء سبباً لوجود ذاته . فلصلاح الله جعل من الكون عملاً مقيداً ، ولحكمة الله جعله أجمل الأشياء ، ولقدرته جعله أعظم الأشياء . ويرينا موسى أصبع ذلك الفنان الفائق القدرة الذى يملك مادة الكون مشكلاً أجزاؤه المختلفة فى إتقان تام كسيمفونية منسجمة الأجزاء .

"فى البدء خلق الله السموات والأرض" .. فهو إذ ذكر الطرفين (السماء والأرض) قد أوضح لنا بداءة الكون كله معطياً السماء حق السمو فآتى بالأرض فى المرتبة الثانية . وخلق كائنات المرحلة الوسطى فى نفس الآونة وبالرغم من أنه لم يذكر شيئاً عن العناصر كالنار والماء والهواء ، فلنتخيل اتحادهما معاً وستجدهما كلها فى الأرض . إذ أن النار تخرج من الجمر ومن الحديد المستخرج من الأرض تحت ضغط عالى ، عند احتكاكه .

يالها من حقيقة ، فالنار كامنة فى أجسام ولكنها لا تؤذيها ، بينما تأتى اللحظة التى تخرج فيها هذه النار لتلتهم أولاً تلك الأجسام التى احتفظت بها كل ذلك الوقت .

كما تحوى الأرض الماء ويخبرنا بذلك حافرى الآبار . وبها الهواء أيضاً الذى يظهر فى الأبخرة التى تخرج عن الأرض الرطبة تحت حرارة الشمس . لذا تبعاً لطبيعتها تحتل السموات المركز الأعلى فى الفضاء بينما تحتل الأرض المركز السفلى (ونرى أن كل ما هو خفيف يصعد إلى السماء بينما يسقط كل ما هو ثقيل إلى الأرض) ، إذن فإن الإرتفاع والعمق هما أشد النقاط بعداً ، لذا يكفى ذكر أبعد الطرفين للدلالة عن تداخل كل الأشياء الأخرى فيما بينهما فى ذلك الفضاء . لذا لا تسأل عن حصر للمواد ، فكر فى هدوء عما عسى أن تكون حسب ما جاء

http://coptic-treasures.com

بالمخطوطة المقدسة .

٨ـ "فى البدء خلق الله السموات والأرض" ... إذا تمنينا اكتشاف جوهر كل من الطرفين الماثلين أمامنا للتأمل ، سوف يؤدى بنا الحال إلى إنحرافات كثيرة يطول شرحها . فمثل هذه النقاط لن تثبت بنيان الكنيسة . بالنسبة لجوهر السموات ، فنحن نرضى بما كتبه لنا إشعياء فى لغته البسيطة مبيناً فكرة كافية عن طبيعتها "خلقت السماء كدخان" (أش٥١: ٦) ، وبمعنى آخر ، فقد خلق الله مادة رقيقة بلا صلابة أو كثافة ، وكون منها السماء ، أما بالنسبة لشكل كل منها ، فنحن نعود للغة أشعياء عندما مدح الله "الذى ينشر السموات كسرادق ويبسطها كخيمة للسكن" (أش٤٠: ٢٢) ، وبشأن الأرض ، دعونا نترك التفكير فى جوهرها أو مادتها . فلا نبحث عن طبيعة خالية من الصفات ولكن نعلم أن كل الظواهر التى تكسوها ، تعتبر شروط وجودها وتكمل جوهرها . فبالعقل سنتناول صفاتها ولكننا لن نتوصل إلى شىء . فمثلاً الصفات التى تتناول المذاق مثل السواد ، البرودة ، الوزن ، الكثافة ، وهى فى كلمة واحدة مانراه بها ، سنجد أن المادة تختفى .

إذا سألتك ترك هذه الأسئلة الجوفاء ، فلن أتوقع أنك تتجه فى بحثك إلى دعامة الأرض ... فهل تتخيل أن الأرض ترقد على فراش من الهواء ؟ فكيف تستطيع مثل تلك المادة الرقيقة أن تتحمل كل ذلك الضغط فوقها ؟ كيف لا تنزلق فى كل الإتجاهات لتجنب الوزن الثقيل الذى عليها وتنشر ذاتها فوق الكتلة التى تغمرها ؟ هل تعتقد أن الماء هو أساس الأرض ؟ وجب عليك إذن أن تسأل نفسك كيف أن جسماً بهذا الثقل وتلك العتمة لا يجتاز الماء ؟ كيف أن كتلة بهذا الثقل تحملها طبيعة أضعف منها ؟ إذن سنبحث عن قاعدة للمياه وستجد صعوبة بالغة إذا فكرت فى أساس تلك المياه .

٩ـ هل تعتقد أن هناك جسماً أثقل من الأرض يمنعها من السقوط إلى الهاوية ؟ إذن سيحتاج ذلك الجسم إلى دعامة أقوى منه تحفظه من السقوط ـ هل تتخيل شىء مثل ذلك تحتاج الدعامة إلى دعامة أقوى منها وإلا ستسقط إلى مالا نهاية ـ وكلما تعمقنا فى الفكر أكثر ، كلما أعطينا تلك الدعامة أو القاعدة قوة أعظم تقدر أن تحمل كل تلك الكتلة فوقها . ضع إذن

http://coptic-treasures.com

حداً لفكرك لئلا تقاد في فضولك إلى ايلام أيوب إليك فيسألك ، "على أى شىء قواعدها أو من وضع حجر زاويتها ؟" (أى٣٨:٦) ... وإذا سمعت المزمور "المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع" (مز١٠٤:٥) ، فستدرك أية قوة تحمل تلك الأساسات .

وإلا ماذا يكون معنى تلك الآية "لأنه على البحار أسسها" (مز٢٤:٢) ، لو أن المياه لا تنتشر حول الأرض !! .. كيف للماء ، وهو ذلك السائل الذى ينزلق فى أى مكان ، القدرة على التعلق بدون سريان ؟ ولا يمكن لك أن تظن أن الأرض معلقة بذاتها لأن طبيعتها أثقل . ولكن دعنا إلى الإعتراف بأن الأرض ترتكز على ذاتها أو أنها تصعد فوق المياه . ونظل فى إيماننا بفكر الدين والإعتراف بقدرة الخالق . دعنا نرد على ذواتنا ونرد على كل من يسألنا أساس تلك الكتلة بأن نقول "الذى بيده مناصب الأرض" (مز٩٥:٤) ، و"من ثبت جميع أطراف الأرض" (أم٣٠:٤) ، وهى وثيقة منزهة عن أى خطأ تفيد معرفتنا وسامعينا أيضاً .

١٠ـ هناك تساؤلات حول تلك الطبيعة ، فمع الوضوح الكبير للكلمات نقول من يمنح الأرض ثباتها ؟ فوضعها فى منتصف الكون بحيث أنها لا تميل ناحية جنب أكثر من الآخر فمركزها فى وسط كل مسافة من السطح ، فبالضرورة يكون إذن ارتكازها على ذاتها . إذ أن الوزن المتساوى فى كل اماكنه لا يمكن أن يميل ناحية أى جنب . وكون الأرض تحتل مركز الكون لم يتم بمحض الصدفة أو بدون هدف ، فهو وضعها الضرورى والطبيعى . فكما أن الجسم المضىء يحتل الغالبية العظمى من الفضاء ، فإن الأجسام الثقيلة ، والتى يعتقدون سقوطها من المجالات العليا ، تحمل بكل الإتجاهات إلى المركز ، والنقطة التى تميل إليها كل الأجزاء هى بالتالى النقطة التى تدفع الكتلة كلها لها . فلو سقطت الأحجار والأخشاب وكل الأجسام الأرضية من أعلى إلى أسفل ، فلن تسقط إلا فى مكان الأرض الطبيعى وعلى النقيض من ذلك ، لو انفصل جسم خفيف من المركز ، فمن الحتمى صعوده إلى المجالات العليا . إذن تتحرك الأجسام الثقيلة من أعلى لأسفل وذلك السفلى ما هو إلا مركز الأرض . فلا تتعجب إذن من أن الأرض لا تسقط أبداً ، بل هى تحتل مركز الكون [1] ، الذى هو مكانها الطبيعى فبكل الأحوال ، يتحتم

(١) لا نعرف ما المقصود بمركز الكون فى رأى القديس باسيليوس ربما يقصد مركز الكون من جهة اهتمام الله به .

http://coptic-treasures.com

عليها أن تبقى فى مكانها حتى تأتى حركة مخالفة للطبيعة فتحل محلها . لو ابهرك مثل ذلك النظام ، دع إعجابك يرجع إلى مصدره ، فهو حكمة الله الخالق . فالظواهر لا تذهلنا إذا ما اكتشفنا شيئاً عن ميكانيكيتها المتقنة . وفى كل الأحوال دعنا نفضل بساطة الإيمان على أعمال الفكر .

١١ـ وقد نقول نفس الشيء على السموات ، فياللضجة التى قام بها الحكماء فى تفسيرهم لطبيعتها . فمنهم من قال أن السموات كونت من أربع عناصر [٢] : المحسوس منها والظاهر ..

أ) الأرض على أساس قوة مقاومتها . ب) والنار لأنها تتوهج فى رؤية العين لها .

جـ) والهواء . د) والماء على أساس خليطها .

بينما رفض آخرون مثل ذلك التفسير وارجعوه لعدم واقعيته ، وأشاروا إلى عنصر خامس إلا وهو جسم اثيرى (هيولى) لا يتكون من النار أو الهواء أو الأرض أو الماء ولا هو أى جسم بسيط ، فهذه الأجسام البسيطة لها طبيعتها الحركية فى خط واحد فيتحرك الخفيف منها لأعلى والثقيل منها لأسفل ، ومثل هذه الحركة العلوية والسفلية ليست حركة دائرية ، فهناك اختلاف كبير بين الحركة المستقيمة والأخرى الدائرية ... فالأجسام التى تختلف حركتها كذلك ، تختلف أيضاً فى جوهرها ويستحيل أن نعتقد أن السموات تتكون من أجسام بسيطة والتى تسمى عناصر . إن اتحاد القوى المتناقضة لا ينتج عنه حركة تلقائية ، إذ أن كل من الأجسام البسيطة تتلقى دافع مختلف من الطبيعة . فهو مجهود شاق أن تحتفظ بهذه الأجسام فى حركة مستمرة إذ أنه يستحيل أن تجعل إحدى حركاتها فى إتفاق وانسجام مع الأخرى المختلفة عنها . إذ ما هو مناسب للجزىء الخفيف يعارض ما هو مناسب للثقيل . فلو حاولنا الصعود سنتوقف لثقل المادة الأرضية ، ولو القينا بذواتنا إلى أسفل فنحن نعارض الجزء النارى لطبيعتنا ، إذ تجذبه بشدة لأسفل فى عكس طبيعته . على أن هذا الصراع بين العناصر لا يؤثر على انحلالها ، فإذا ما تعرض الجسم للعنف ووضع فى اتجاه مضاد لطبيعته ، فهو يذوب بعد فترة مقاومة قصيرة إلى أجزاء تعتمد فى كثرتها على محتوياتها من العناصر ، وتعود تلك الأجزاء إلى مكانها الطبيعى . إنها قوة تلك

(٢) هذا حسب المفاهيم العلمية فى أيام القديس باسيليوس ، وهو يتكلم بناءاً على هذه المفاهيم ومن هذا المنطلق .

http://coptic-treasures.com

الأسباب التى جعلت مخترعى العنصر الخامس الذى يكون السموات والنجوم يرفضون ما جاء به سابقيهم ويعتقدون فى نظريتهم . ويقوم مبحث آخر ليقضى على هذه النظرية ويعرض فكرة اختراع ... فيجب علينا ألا نتبع هؤلاء في إدعاءاتهم ، ودعهم يفندون بعضاً ، وبدون أن نقلق أنفسنا حول الجوهر دعنا نردد مع موسى "خلق الله السموات والأرض" . هلم بنا نمجد الصانع الخالق لكل ما صنع بحكمة ومهارة ، هلم بنا نرفع ذواتنا إليه الذى هو أعلى من كل جمال إذ ننظر جمال الأشياء المرئية التى صنعها لنا ، وعظمة الأجسام المحسوسة والمحدودة فى طبيعتها لندرك ذلك غير المحدود الذى فى اتساعه غير المحدود وقدرته يتجاوز كل قدرات الخيال .

فبالرغم من جهلنا بطبيعة المخلوقات ، فالأشياء التى تجذب انتباهنا بكل نواحيها هى غاية فى الإتقان ، والعقل الحاذق لا يدرك أقل مظاهر الكون ولا يستطيع تفسيرها إذا ما م يشكر الخالق ، الذى له كل المجد والكرامة والقدرة إلى الأبد آمين .

http://coptic-treasures.com

العظة الثانية

كانت الأرض خربة وخالية

١ ـ إن ما وجدناه من فكر عميق فى الكلمات القليلة التى شغلتنا هذا الصباح يجعلنا نيأس من التقدم أكثر من ذلك ، لأنه إذا كانت عظمة وروعة جمال أعمدة الهيكل تبهر الروح فماذا يكون تأثير قدس الأقداس إذاً ؟! ومن ذا الذى يجرؤ على الدخول إلى هناك ؟ من ذا الذى يجرؤ على الإطلاع على أسرارها ؟ .. الواقع إن التطلع إليها ممنوع ، كما تعجز اللغة عن التعبير عما يدركه العقل . ولكن بما أن الديان العادل يذخر مكافآت عظيمة للنية الصالحة فى عمل الخير ، دعنا إذاً لا نتردد فى الإستمرار فى أبحاثنا . وإذا كنا بمعونة روح الله ، لا ننحرف عن معانى كلمات الكتاب المقدس فسوف نسهم بمؤازرة النعمة فى بنيان كنيسة الله .

يقول الكتب المقدس إن "كانت الأرض خربة وخالية" . خلقت السماء والأرض على حد سواء فكيف إذن تكون السماء كاملة فى كل شىء بينما الأرض مازالت بلا شكل وناقصة (خاوية) ، فهو هذا الذى لم يكتمل بالنسبة للأرض ، هو حد الكمال بالنسبة لها : من نمو جميع أنواع نباتات والأشجار الطريلة سواء المثمرة أو عديمة الثمر ، كذلك الأزهار ذات الرائحة الطيبة والألوان الجميلة ، وكل ما انتجته الأرض بعد ذلك عند قول الرب ليجملها . وبما أن أى من هذه الأشياء لم يكن موجوداً لذا يصدق قول الكتاب عندما يصف الأرض بأنها ليست ذات شكل "خروخالية" . ويمكننا القول بأن السماء أيضاً لم تكن كاملة ذلك لأنها لم تكن قد تجملت بعدجد الشمس والقمر ولم تتوج بالنجوم . هذه كلها لم تكن قد خلقت بعد ولذلك فأنت لا تعلن الحق عندما تقول أن السموات أيضاً لم تكن قد اتخذت شكلاً بعد .

كانت الأرض غير مرئية لسببين ربما لأن الإنسان الذى يستطيع رؤيتها لم يكن قد خلق بعد ،

http://coptic-treasures.com

أو لأن الأرض كانت مغمورة بالمياه فلا يمكن رؤيتها ، لأن الرب لم يكن قدأمر المياه بعد أن تجتمع فى أماكنها التى أطلق الرب عليها فيما بعد بحاراً .. ما هو هذا الذى كان غير مرئى ؟ هو ما لا تستطيع عيوننا أن تراه ، ولأن الأرض كانت مغمورة بالمياه فهى غير مرئية . لأن النور لم يوجد بعد ، والأرض تحيط بها ظلمة لذلك لا يجب أن نندهش عندما يصف الكتاب المقدس الأرض بأنها "غير مرئية" .

٢ـ إلا أن مفسدى الحق الذين يشوهون عن عمد معانى كلمات الكتاب المقدس وذلك لعجزهم عن إخضاع عقولهم للكتاب المقدس ، إنما يدعون أن المقصود بهذه الكلمات هو المادة ذلك لأن من طبيعة المادة كما يقولون أن تكون «بلا شكل» و«غير مرئية» ـ من طبيعة وجودها أن تكون بلا شكل وبلا منظر . ولقد قام الصانع الماهر بعد إخضاع المادة لأعمال حكمته بإعطائها شكلاً ، وقام بتنسيقها مما أتى بها إلى حيز الوجود المرئى .

إذ لم تكن المادة قد خلقت إذاً فهى تتمتع بمكانة مساوية لله ! وهذا هو منتهى الشر أن هذا المسخ الذى بلا شكل أو منظر ، الذى هو «قبح بلا نظام» ـ على حد تعبيرهم ـ يكون له نفس حقوق وسلطان الله الذى هو الحكمة والقوة والجمال فى ذاته وهو خالق الكل . إلا أن الأمر لا يقف عند هذا الحد .. إذا كانت المادة عظيمة إلى الحد الذى يجعلها قادرة على الوجود تحت تأثير حكمة الله فهى تستطيع أن تصل إلى حد المساواة مع قوة الله الفائقة بما أنه سيكون فى مقدورها قياس الحكمة الإلهية !! .. والقول بأن أعمال الله غير كافية فهذا يولنا فى التجديف لأننا بذلك نكون قد أدنا الله بأنه غير قادر على استكمال أعماله ، بما أنه يحتاج إلى مساعدة المادة .

لقد خدعت طبيعة الإنسان الفقيرة هؤلاء المفكرين ، جميع الحرف التى يمارسها الإنسان إنما يطبقها على أنواع معينة من المادة .. الحداد مثلاً يستخدم الحديد والنجار يستخدم الخشب .. فى جميع هذه الحرف يوجد الفاعل والشكل والعمل الناتج عنه .. المادة تأتى إلى الصنع من خارج .. الفن هو الذى يعطى الشكل ، والعمل يتم فى نفس وقت تكوين الشكل والمادة

هذه هى نفس فكرتهم عن العمل الإلهى ، شكل العالم هو ناتج عن حكمة الباب الأعظم ،

http://coptic-treasures.com

المادة أتت إليه من خارج ذاته ، فالعالم فى هذه الحالة ينجم من أصلين اثنين : فلقد حصل على مادته وجوهره من خارج ، وحصل على شكله ومنظره من الله . وهم بذلك ينكرون أن الله القدير هو وحده خالق هذا الكون ويدعون أنه إنما ساهم فى تكميل عمل عادى وكأن الله قد ساهم بقدر ضئيل فى تكوين الكائنات ـ وهم بذلك يكونون غير قادرين على الإرتقاء بفكرهم المنحط إلى آفاق الحق .

نلاحظ هنا على أرضنا هذه أن القنون تلت المادة فى الظهور ، فقد ظهر الفن لحاجاتنا الماسة إليه : الصوف مثلاً كان موجوداً قبل أن يعرف الغزل ليصنع من الصوف ملابس تسد حاجاتنا والخشب كان موجوداً قبل تطويعه بالنجارة لتحويله إلى مستلزمات تسد احتياجاتنا المتجددة يوماً بعد يوم ، فالبحار يحصل على المجداف والعامل يحصل على أذرع الطاحون ...

أما بالنسبة لله فالأمر مختلف ،ذلك أنه قبل أن توجد كل هذه الأشياء التى تجذب انتباهنا اليوم وفى الوقت الذى قرر فيه الله أن يعطى وجوداً لما لم يكن له وجود فى الأصل ، كان هذا العالم كله فى فكر الله بالصورة التى يجب أن يكون عليها وخلق المادة فى انسجام تام مع الشكل الذى شاء أن يعطيه لها (تك٢ :٥) ، فأعطى السموات طبيعتها السماوية جعل لأرض جوهراً يتفق مع شكلها ولها شكل بحسب مشيئته ، النار والهواء والماء [٣] واهباً كل منها جوهراً يتلائم تاماً مع متطلبات وجود كل منها . وأخيراً ادمج جميع أجزاء الكون المتفرقة بروابط لا يمكن حلها وأسس فيما بينهم تجانس تام حتى أن أكثر من هذه الأجزاء تباعدا ، على الرغم من بعدلسافة ، إلا أنها متحدة بباقى أجزاء الكون فى تناسق كونى هائل . لذلك ادعو هؤلاء الرجال ، نبذ خيالاتهم الأسطورية لأنهم ـ على الرغم من ضعف حجتهم ـ يدعون أنهم إنما يقيسون ة لا يمكن للعقل البشرى أن يستوعبها كما أنه يعجز عن النطق بها .

٣ ـ لقد لق الله السموات والأرض ، خلق السموات كاملة وخلق الأرض كاملة خلق الجوهر مع الكل ، ذلك لأن الله ليس مخترع لبعض الأشكال ولكنه هو خالق أصل الحياة فى الكائنات . دم يقولون لنا كيف تعاملت قوة الله القديرة مع طبيعة المادة اسلبية التى تقدم المادة

---

(٣) هذا هديم باسيليوس يتكلم عن العناصر الأربعة كما يعرفهم أهل جيله .

http://coptic-treasures.com

بلا شكل بينما قوة الله تمتلك قدرة التشكيل فقط بدون المادة وكلاهما فى حاجة إلى الآخر،الخالق لكى يظهر ابداعه على المادة ، والمادة لكى تتخذ شكلاً . ولكن دعنا نتوقف هنا ونعود لموضوعنا ...

«كانت الأرض غير مرئية وغير مكتملة» ... قول الكتاب المقدس انه «فى البدء خلق الله السموات والأرض» ، يعنى ضمنا أن الله قد خلق الماء والهواء والنار ، وكل ما ينتج عنها فى نفس وقت خلقة الكون ، وهذه الإشارة الهادئة لنا لتدرب قوانا العقلية على التفكير لاكتشاف الحق ، لم يخبرنا الكتاب المقدس مثلاً عن خلقة الماء ، ولكنه اخبرنا أن الأرض كانت مغمورة وهذا يدفعنا إلى التساؤل ترى ما الذى كان يغمر الأرض حتى لا تكون ظاهرة للعيان ؟ لا يمكن للنار أن تخفى الأرض لأن النار تنير المكان من حولها وتبعث الضوء ، وليس الظلمة ، ومن غير المعقول أن يكون الهواء هو الذى كان يخفى الأرض لأن الهواء بطبيعته ذو كثافة قليلة وشفاف فهو لا يحجب الرؤية على الإطلاق ـ وعلى هذا يتبقى افتراض واحد فقط وهو أن الشيء الوحيد الذى كان يغمر الأرض ويطفو على سطحها هو الماء ـ ذلك السائل الذى لم يكن قد تحدد له مكان بعد ، ولهذا لم تكن الأرض غير مرئية فقط وإنما أيضاً كانت غير مكتملة ، حتى فى يومنا هذا نلاحظ أن غمر الأرض بمياه كثيرة فوق الحاجة يعوق انتاجية الأرض وهذا السبب نفسه فى ذات الوقت يجعل الأرض مخفية عن الأنظار وغير مكتملة لأن جمال الأرض فى كمالها أى أن تكون مزدانة بسنابل القمح ومغطاة بالحشائش والأشجار ، وغنية بالزهور الملونة، ومليئة بالأودية الخصبة ، وقمم التلال التى تظللها الغابات .. فى البدء لم يكن شيء من هذا قد وجد بعد ، كانت الأرض تتمخض بكل هذه الأشياء بحكم القوة التى استمدتها من الخالق ، ولكنها كانت تنتظر الوقت المعين من قبل الله والأمر الإلهى لتعطى ثمراً .

٤ ـ «على وجه الغمر ظلمة» ... تعتبر هذه الآية مصدراً جديداً للتخيلات المنحرفة ، ذلك إذا أسيء فهم كلماتها عن عمد .

هؤلاء الرجال الأشرار لا يفهمون المعنى المقصود بكلمة «ظلمة» لقد كان المكان كله يفتقر إلى النور . ولكن بالنسبة لهؤلاء الرجال «الظلمة» تعنى قوة الشر ، أو بالأحرى هى تجسيد لقوى

http://coptic-treasures.com

الشر التى أصلها من ذاتها وهى فى صراع ائم ضد خيرية الله . وهم يقولون أنه بما أن الله نور فمما لا شك فيه أن القوة المضادة له هى الظلمة ، التى فى رأيهم موجودة من ذاتها ولم يوجدها أحد ـ شر موجود بذاته . هذه «الظلمة» هى عدو للروح وهى السبب الأول للموت وعدو كل فضيلة . يقولون أن كلام الوحى يوضح أن «الظلمة» كائنة من ذاتها ولا تستمد وجودها من الله ـ متمادين بذلك فى انحرافهم ـ يا لها من قوانين خاطئة ! ويا لهم من ذئاب مفترسة تفتك بقطيع خراف السيدالمسيح !! اليس من هنا انبثقت الهرطقات التى أساءت كثيراً إلى الكنيسة .

لماذا أيها الإنسان تبتعد هكذا عن الحق وتثير لنفسك تخيلات تؤدى إلى هلاكك الأبدى ؟! إن كلمات الكتاب المقدس بسيطة وفى مستوى إدراك الجميع "كانت الأرض غير مرئية" لماذا؟ لأن "الغمر" كان يغطى سطحها . وما هو "الغمر" ؟ مياه كثيرة ذات عمق هائل ، ولكننا نعلم أنه من الممكن أن نرى الأجسام من خلال المياه النظيفة الخالية من الشوائب ، كيف اذا تعذر رؤية الأرض ؟ ذلك لأن الهواء الذى كان يحيط بالكرة الأرضية كان يفتقر إلى الضوء .

إن أشعة الشمس التى تخترق المياه تسمح لنا برؤية الحصى الذى يفترش قاع النهر ولكن فى ليلة مظمة يستحيل أن تخترق أبصارنا أعماق المياه . وعلى هذه فإن كلمات الكتاب بأن الأرض كانت خربة أى غير مرئية ، إنما تفسرها الآية التى تليها أن "الغمر" كان يغطى سطح الأرض ، وكانت ترزح فى الظلمة . وعلى هذا فإن "الغمر" ليس قوة عادية ،كما أن الظلمة ليست قوى شر معادية للخير كما يتصور البعض .

نلاحظ أنه إذا وجد عنصران متضادان سيتمتعان بدرجة متساوية من القوة ، واشعلا حرباً فيما بينهما سوياً ، تنتهى بدمار العنصرين ، ولكن إذا تفوقت إحدى القوتين سوف تدحر الأخرى . وللحصول على حالة متوازنة بين الخير والشر فى صراعهما لابد من تصور أنهما اشتركا فى حرب بلا نهاية ، لا غالب فيها ولا مغلوب . اذا كان الخير أقوى من الشر فما الذى يحول دون القضاء عليه (أى الشر) نهائياً .

الواقع إننى أتعجب كيف أن هؤلاء القوم لا تتملكهم الرعدة لمجرد تفكيرهم وتصورهم لمثل هذه التجاديف المنفرة . كما أنه من الخطأ روحياً أن يقال أن الشر استمد وجوده من الله لأن

http://coptic-treasures.com

الضد لا ينتج مما هو ضده. الحياة لا تلد موتاً ، والنور لا ينبثق من الظلام ، كما أن الصحا لا تنتج عن المرض ، انما هذا يعتبر تغيير من حالة إلى عكسها .. اما فى التكوين فكل كائن يخرج من مثيله .. واذا كان الشر لم يستمد أصله من الله ولم يخلقه الله اذا ، فمن أين استمدطبيعته؟ بالطبع كلنا نتفق على أن الشر موجود ، فكيف نفسر هذا الأمر؟ الواقع أن الشر ليس كائناً عاقلاً حياً ، وانما هو حالة تكون فيها الروح مخالفة للفضيلة ، هذه الحالة تنمو وتتطور لدىالبعيدين عن الخير .

٥ ـ لا يجب إذا أن يسعى الإنسان إلى خراب نفسه ويتصور وجود الطبيعة الشريرة من الأصل. بل يجب أن يعترف كل شخص منا أنه هو نفسه صانع شروره .

من خلال أحداث الحياة اليومية يعانى الإنسان من بعض المساوىء الطبيعية مثل التقدم فى العمر والمرض وهناك ما يكون عارضاً مثل الأحداث المفاجئة ، التى تأتى دون ترتيب مثل العثور على كنز ، أثناء حفر بئر ماء أو ملاقاة كلب مسعور فى الطريق ، وهذه أمور لا دخل للإنسان بها، ولكن هناك أمور تعتمد على شخصياتنا : مثل التحكم فى مشاعرنا والسيطرة على الغضب، أو معاداة من يضايقنا ، أن نقول الحق أو نكذب ، أن يكون الإنسان حلو المعشر أو شرس الطباع ، الإنسان هو المتحكم فى تصرفاته ولذلك يجب أن لايبحث الإنسان عما يبرر تصرفاته من أسباب خارجية ، بل عليه أن يعرف أن الشر مصدره سقطات الإنسان الإرادية ، ذلك أنه لو لم تكن سقطات الإنسان إرادية لما كان تطبيق القانون مرعباً للخطاة المدانون . ويجب التنويه على أن ما يصيب الإنسان من مرض وفقر وموت .. لا يعتبر من الشرور . ذلك لأن بعض هذه الأمور التى تصيب الإنسان تتحول لفائدته . لذا فلنصمت الآن ونتابع كلمات الكتاب المقدس عن "الظلمة" .

قد يتساءل العقل : هل خلق الظلام مع خلقة العالم؟ هل الظلام سابق للنور؟ ولماذا سبق الظلام النور؟

وللإجابة على هذه التساؤلات نقول أن الظلام ليس له أصل فى ذاته وإنما هو حالة فى الجو تنتج عن اختفاء النور . ما هو ذلك النور الذى اختفى فجأة من العالم حتى أن الظلام أصبح يحيط بالغمر؟ اذا كانت هناك كائنات موجودة قبل خلقة هذا العالم الفانى فاننا نستنتج انها

http://coptic-treasures.com

كانت تمتع بالنور . طغمات الملائكة والكائنات السماوية وجميع الأرواح لم تكن فى ظلام بل كانت تتمتع بحالة توافق طبيعتها ، كانت تتمتع بالنور والفرح الروحى .

لا يوجد من يناقض هذا الكلام ، على الأقل لا يناقضه كل من يتطلع إلى النور السماوى الذى هو جزاء الفضيلة والخير . ذلك النور الذى يقول عنه سليمان هو نور دائم للصديقين (أم ١٣ :٩) النور الذى جعل الرسول يقول "شاكرين الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور" (كو ١ :١٢) .

أخيراً ، إذا كان الخطاة المدانون سيوف يطرحون فى الظلمة الخارجية (مت ٢٢ :١٣) فغنى عن البيان أن المستحقين للمكافأة ، ستكون لهم الراحة والنياح فى نور السماء . حينئذ بناء على ترتيب اله :

١ ـ فإن السماء ظهرت تحتوى كل ما تتضمنه هناك وهى جسم لا ينقسم يفصل الأشياء الخارجية عن ما بداخلها ..

٢ ـ هناك ثلاثة أشياء تكون الظل وهى النور والجسم ومكان مظلم .

٣ ـ ظل السموات يكون ظلام العالم ، أرجو أن تفهم ما أعنيه من خلال مثل بسيط .. تصور.

انك قمت أثناء الظهيرة بشد خيمة مصنوعة من مادة سميكة وكثيفة تحجب الضوء وتدخل داخلها وتغلق على نفسك فى ظلام عام وفجائى . الظلمة أساساً هى ناتجة عن أسباب خارجية . قيل أن الظلمة كانت تحيط بالغمر ذلك لأن الهواء يتلامس مع سطح الأجسام والماء يغمر كل شىء ، اذن نقول أن الظلمة كانت على وجه الغمر .

٦ ـ "وروح الله يرف على وجه المياه" ... هل هذه الروح تعنى إنتشار الهواء؟ يريد هنا كاتب السفر المقدس أن يذكر لك عناصر الكون موضحاً أن الله خلق السموات والأرض والماء والهواء وأن الأخير الآن قد انتشر وأصبح فى حالة حركة ويقصد بروح الله أى الروح القدس الذى هو الأقنوم الثالث المكمل للثالوث القدوس . كيف كان روح اله يتحرك على وجه المياه؟ أجاب على هذا السؤال أحد الآباء السريان الذى كان عميقاً فى فهمه لكلمة الحق ، وكان يرى

http://coptic-treasures.com

أن اللغة السريانية أدق فى التعبير عن معانى كلمات الكتاب المقدس من غيرها ، وهو يقول أن معنى كلمات الكتاب "كان يرف" تعنى أنها كانت تعطى قوة وحياة لطبيعة المياه تماماً كما يفعل الطائر عندما يرقد على البيض بجسمه ، لمنحه بالدفء قوة وحيوية . وهذا المثل يقرب لنا الصورة بقدر المستطاع ، روح الله كان يعد طبيعة المياه لتصبح ملائمة لتعيش فيها الكائنات الحية وهذا دليل كاف لكل من يتساءل عما إذا كان روح الله قد قام بدور فعال فى خلقة العالم .

٧ ـ "وقال الله ليكن نور" ... أول كلمة نطق بها الله خلقت طبيعة النور ، جعلت الظلام يتلاشى ، بددت العتمة وأضاءت العالم وأعطت لجميع الكائنات مظهراً حلواً ومجيداً . السموات كانت تحوطها الظلمة ، ظهرت فى الصورة الجميلة التى نراها الآن . الهواء أصبح يشع نوراً ، ذلك أن النور ملأ كل أجزاء الهواء وانتشر بهاءه فى العالم إلى أقصى حد شمالاً وجنوباً ، شرقاً وغرباً ، وارتفع عبر الأثير إلى السموات ذلك لأن الأثير ذو طبيعة شفافة جداً ، تسمح بمرور الضوء فى أقل من دقيقة ، وكما أنها تنقل الينا الصورة التى تقع عليها عيوننا فى سرعة تعجز عقولنا عن ادراكها ، فهى أيضاً تستقبل أشعة الضوء بنفس هذه السرعة وتوصلها إلى أقصى حدودها .

الضوء يجعل الأثير أكثر جمالاً كما تصبح المياه أكثر شفافية وانعكاس الضوء على هذه الأشياء يبعث بومضات ضوئية فى كل اتجاه .. وهكذا تكون كلمة الله قد أعطت مظهراً خلاباً ومبهجاً لجميع الأشياء .. كلمة واحدة من الخالق أعطت فى لمح البصر النور للعالم .

"ليكن نور" ، هذا الأمر الإلهى أعطى وجوداً لأمور تفوق ادراك العقل البشرى ، ومما يجدر الإشارة إليه أننا عندما نقول صوت الله أو كلمة الله أو الأمر الالهى ، هذه اللغة الالهية لا تعنى الكلام الناتج عن أصوات تحدثها الأحبال الصوتية أثناء مرور الهواء من الفم ، وانما هى مجرد الإرادة الإلهية ، وعندما نقول أنها أتت فى صيغة الأمر فهذا للتأثير فى نفوس السامعين فقط .

"ورأى الله النور أنه حسن" ... كيف يمكننا أن نمدح النور بعد أن شهد له الخالق أنه حسن ؟ إن كلماتنا إنما تعبر فقط عما تراه عيوننا ، ولكنها لا ترقى إلى مستوى الفكر والإحساس .. ولكن اذا كان جمال الأجسام ينشأ من تناسق أجزائها وألوانها فكيف يمكن تطبيق هذا المبدأ

http://coptic-treasures.com

على طبيعة النور ذا الطبيعة المتجانسة والبسيطة؟ ان التناسق والجمال لا يظهران فى تركيبة طبيعة النور بقدر ما يظهران فى منظره البديع الذى تبصره عيوننا ونتمتع به . مثال على ذلك ، الذهب الذى يخطف الأبصار لجمال لونه البراق ، وليس بسبب أجزاءه المتحدة ببعض . ولنفس السبب يظهر «نجم المساء» أجمل النجوم على الإطلاق وذلك ليس من أجل أجزاءه الدقيقة التى تكون منه وحدة متناغمة ولكن من أجل بريقه الرائع الأخاذ الذى يخطف أبصارنا .

ولكن الله لم يمدح النور من أجل جمال منظره وانما بالأكثر من أجل فائدته المستقبلية لأنه حتى ذلك الحين لم تكن هناك أعين لتحكم على جمال منظره .

"وفصل الله بين النور والظلمة" ... أى أن الله جعل لكل منهما طبيعة لا تسمح باختلاطهما ، حيث أنهما ضدان وقد ثبت بينهما أكبر مسافة على الإطلاق .

٨ ـ "ودعا الله النور نهاراً والظلمة دعاها ليلاً" ...

منذ أن خلق الله الشمس أصبح هناك نهاراً ناتج عن إنتشار ضوء الشمس فى الهواء المحيط بالكرة الأرضية ، والظلام الناتج عن اختفائها أصبح ليلاً . وهكذا تعاقب الليل والنهار .

"وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً" ... المساء هو ما يفصل بين النهار والليل والصباح هو ما يفصل بين الليل والنهار ، ولقد أعطى الكتاب المقدس المكانة الأولى للنهار لذلك ذكر "مساء" اليوم الأول قبل أن يذكر نهاية الليل ، ذلك لأنه قبل أن يخلق الله النور كان العالم فى ظلمة ولم يكن فى ليل ، لأن الليل هو عكس النهار ولم يعط الليل اسمه إلا بعد مرور نهار كامل وهنا خلق الله الصباح والمساء ، وعندما يذكر الكتاب المقدس أنه كان مساء وكان صباح ، يقصد المسافة الزمنية لكل من الليل والنهار ولا يعود الكتاب بعد ذلك إلى تكرار نفس التسمية أى الليل والنهار وانما يشير إلى الأكثر أهمية وهو النهار ففى جميع أسفار الكتاب المقدس تقاس الفترة الزمنية بعدد أوقات النهار دون الإشارة إلى الليل ، فكاتب المزامير يقول «أيام نهار حياتنا» (مزامير) ويقول يعقوب "قليلة وردية كانت أيام نهار سنى حياتى" (تك ٤٧ :٩) . وفى موضع آخر يقول المرنم "كل أيام نهار حياتى" (مز ٢٣ :٦) .

"وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً" ... ماذا يقول الكتاب المقدس أنه يوماً واحداً ولم

http://coptic-treasures.com

يقل اليوم الأول؟ خاصة وأن الكتاب يذكر بعد ذلك اليوم الثانى والثالث والرابع ... لقد قال الكتاب يوماً واحداً ، لأنه شاء أن يركز على تحديد الفترة الزمنية لليوم وجمعها فى وحدة واحدة .

نعلم الآن أن الفترة الزمنية هى ٢٤ ساعة وعلى هذا ففى كل مرة تدور الشمس دورتها ، يتعاقب الليل والنهار على الأرض ، فى فترة زمنية لا تتعدى الأربع والعشرين ساعة .

الله الذى أوجد الزمن وحدده بتسلسل الأيام ، شاء أيضاً أن يعطينا قياس الأسبوع لذلك أمر أن يتسلل الأسبوع ليبدأ من حيث انتهى ، وذلك لقياس الزمن ، وهذا الأسبوع يتكون أساساً من دوران اليوم حول نفسه سبع مرات ، ليبدأ من حيث انتهى .. هذه هى نفس فكرة الأبدية ، أن يدور الزمن حول نفسه إلى ما لا نهاية . فإذا كان الكتاب قد حدد بداية الزمن بقوله "يوماً واحداً" بدلاً من أن يقول اليوم الأول ، ذلك لأن الكتاب المقدس يريد إقامة علاقة بينه وبين الأبدية . ونلاحظ أن الكتاب المقدس يحدثنا عن عصور زمنية كثيرة ولكنه لا يشير إلى هذه العصور بالأول والثانى والثالث ، فهو لا يركز على تعاقب العصور وانما يقدم لنا حالات وأعمال متنوعة ، يقول الكتاب مثلاً عن يوم الرب "أنه عظيم ومريع" (يو ٢: ٢) ويقول فى موضع آخر "ويل للذين يشتهون يوم الرب . لماذا لكم يوم الرب هو ظلام لا نور" (عا ٥: ١٨) إنه يوم ظلمة لهؤلاء الذين يستحقون الظلمة ، وهذا اليوم يذكره كاتب المزامير ويلقبه باليوم "الثامن" (مز ٦ ، ١١) وذلك لأنه لا يدخل فى نطاق أيام الأسبوع ، وسواء اسميناه يوماً أو الأبدية فالمعنى واحد . اذا استخدمنا كلمة يوماً فهو يوم فريد لا مثيل له ، وإذا استخدمنا كلمة «أبدية» فهى أيضاً تشير إلى حالة فريدة لا مثيل لها . فمن أجل أن نمتد بأفكارنا إلى حياة أخرى فى المستقبل لذلك يذكر لنا الكتاب أنه يوماً واحداً ، أى أنه على غرار الأبدية ، هو أول ثمار الأيام حيث لا ظلام ، هو يوم الرب المقدس يوم قيامة رب المجد ـ "وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً" ...

ولكن بينما أنا أتحدث معكم عن أول مساء يشهده العالم منذ خلقته يأتى على المساء ويضع نهاية لحديثى . ادعو الله الآب النور الحقيقى ، الذى أعطى اليوم بهاءه بنور السماء وجعل النار تضىء لنا الليل ، الذى يذخر لنا فى الحياة الأبدية نور أبدى ينير قلوبنا بمعرفة الحق ، ادعوه أن

http://coptic-treasures.com

يحفظكم من السقوط ويعطيكم أن "تسلكوا بلياقة كما فى النهار" (رو١٣: ١٣) عندئذ ستيضئون كالشمس وسط مجد القديسين وأنا سوف أفخر بكم فى يوم مجيء المسيح الذى له كل المجد والقوة إلى أبد الآباد . آمين .

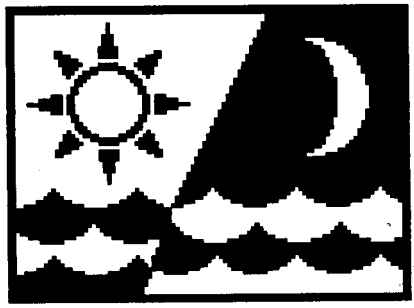

http://coptic-treasures.com

العظة الثالثة

الجلـــــد

لقد كان حديثنا بالأمس عن الأعمال التى تمت فى اليوم الأول أو بالحرى فى يوم واحد يوم فريد لم يحسب بحساب سائر الأيام .. ولقد قسمنا ما يرويه لنا الكتاب المقدس عن أعمال هذا اليوم إلى أجزاء حتى نقدم غذاء لأرواحكم فى الصباح وفرحاً فى المساء . واليوم ننتقل إلى روائع اليوم الثانى مركزين بالأكثر على النعمة الموجوة بالكتاب المقدس وليس على موهبة كاتب السفر لأن رواية الخلق مقدمة إلينا فى الكتاب المقدس ببساطة وسلاسة ، تبهج من يفرحون ويحبون الحق .

وهذا الفرح يعبر عنه كاتب المزامير بقوله "ما أحلى قولك لحنكى أحلى من العسل لفمى" (مز١١٩: ١٠٣) .. بالأمس استمتعنا بالحديث عن أعمال الله التى تشير إلى الأبدية واليوم نلتقى لنتأمل فى روائع اليوم الثانى للخلق .

اعلم أن كثير ممن يلتفون حولى هم من عمال الحرف والصناعات الميكانيكية التى تستنزف طاقة المرء ، لذلك أجد نفسى مضطراً للإختصار فى حديثى حتى لا أعطلهم عن أشغالهم . وأقول لهم أن الوقت الذى تقدمونه لله ، لا تعتبروه وقتاً ضائعاً ، لأن الله سوف يرده لكم ممزوجاً ببركات كثيرة ومهما يقابلكم من متاعب أو مشاكل فإن الله سوف يبددها من أمامكم فإن الله يعطى لهؤلاء الذين أثروا الإهتمامات الروحية عن غيرها ، أقول يعطيهم صحة فى البدن وذكاءاً متقداً ونجاحاً فى العمل وازدهاراً مستمراً .. وحتى إذا لم نحقق ما نصبو إليه من آمال فى حياتنا على الأرض ، فلنعلم أن الروح القدس هو كنز المعرفة الذى لا ينضب فى العصور التالية . لذلك أطلب إليكم أن تنزعوا من قلبوكم جميع هموم الحياة وتعطوا أذاناً صاغية لحديثى ، لأنه ما الفائدة

http://coptic-treasures.com

إذا كنتم حاضرين بالجسد فقط بينما قلوبكم منشغلة بالكنوز الأرضية ..

٢ ـ قال الله "وكان مساء "ليكن جلد فى وسط المياه . وليكن فاصلاً بين مياه ومياه" (تك ١ :٦) .. بالأمس استمعنا إلى أمر الله "ليكن نور" ، واليوم نسمع أمر الله "ليكن جلد" .. هذه الكلمات ليست فقط مجرد أمر ولكنها تتضمن سبب تكوين الجلد . ذلك ليفصل بين مياه ومياه .

ولكن فلنتأمل أولاً كيف يتحدث الله؟ هل يتحدث كما نفعل نحن؟ هل يتلقى الله انطباعات من الأشياء الموجودة ، ثم بعد أن يستوعبها يعطى أوامره إلى هذه الأشياء عن طريق علامات توافق طبيعة هذه الأشياء؟ وهل بذلك يكون فى حاجة إلى أعضاء الجسد التى تصدر عنها الأصوات ، حتى ينقل أفكاره إلى لأشياء؟ هل الله فى حاجة إلى صوت قوى يخترق طبقات الهواء ليعلن عما يدور فى أعماقه من أفكار؟ ألا يبدو ذلك قولاً غبياً ، ان الله يحتاج إلى هذه الأمور للتعبير عن أفكاره ؟ ألا يوافق التعليم الدينى الصحيح أن نقول أن قوة الله الدافعة والمحركة التى للعقل الإلهى هى بحق كلمة الله؟ إن كلمة الله (المسيح) هو ما يريد أن يوضحه الكتاب المقدس على أنه المشترك مع الله فى خلقة العالم . كان من الممكن أن يروى لنا الكتاب المقدس قصة الخلق على النحو التالى «فى البدء خلق الله السماء والأرض وبعد ذلك خلق النور ثم خلق الجلد» .. ولكن قدم لنا الكتاب المقدس الله يأمر فيكون ، ليعطينا فكرة أوضح عن الله من خلال التأمل والتفكير وبذل مجهود كبير فى ذلك ، والسبب فى ذلك يرجع إلى أن الإنسان عادة يحرص على ما يقتنيه بالتعب والجهد ، اما ما يحصل عليه بسهولة يصبح غير ذا قيمة . وهذا هو أسلوب الكتاب فى تعريفنا بالله (بالابن الوحيد) .

بالتأكيد إن الله الذى هو روح ، ليس فى حاجة إلى لغة الصوت المرتبطة بأعضاء الجسم المادى، ذلك لأن أفكاره تنتقل فى صمت إلى خليقته . لقد خلق الصوت من أجل السمع ، وخلق السمع ليستقبل الأصوات ، وحيث لا يوجد هواء أو لسان أو اذن أو الذبذبات الصوتية التى تنقل الصوت إلى مراكز السمع فى المخ ، فلا حاجة للكلام لأن أفكار الروح تكون كافية لتوصيل الإرادة . كما قلت سلفاً ، إن هذه اللغة التى تشير إليها الكتاب المقدس إن الله استخدمها

http://coptic-treasures.com

فى عملية الخلق إنما شاء بها الكتاب أن يوقظ أذهاننا للبحث عن الشخص الذى وجهت إليه هذه الكلمات .

٣ ـ وهناك أمر آخر يثير التساؤل : هل الجلد الذى له اسم السماء يختلف عن الجلد الذى خلقه الله فى البدء؟ هل يوجد هناك سمائين؟ يقول الفلاسفة الذين تطرقوا إلى هذا الموضوع أنه توجد سماء واحدة فقط ، وهى ذات طبيعة لا تتكرر ويقولون أنها ذات وحدة واحدة ، ذلك لأنهم يقولون أن كل جسم له حركة دائرية انما يكون كامل ونهائى ، فاذا استخدم هذا الجسم فى إقامة السماء الأولى ، فلا يتبقى منه شىء لإقامة سماء ثانية أو ثالثة . هنا نرى أن هؤلاء المفكرين ، قد تصوروا وكأنهم وضعوا بين يدى الخالق مادة غير مخلوقة ، وهذا كذب ناتج عن الفكرة الخاطئة السالفة الذكر . إلا أنه يوجد بين حكماء الإغريق من يقولون بإنه توجد أعداد لانهائية من السموات والعوالم . ولذلك عندما يقول البعض أنه لا توجد إلا سماء واحدة ويستحيل أن يكون هناك وجود لأكثر من سماء لا يسعنا إلا أن نضحك لأن هذا يعنى أنهم ، يشكون فى قدرة الله الحكيمة القادرة على خلق سموات عديدة . ويمكننا اذا تأملنا قدرة الله وعنايته الفائقة وغير المحدودة نرى أن هناك فرق كبير بين قوة وعظمة السماء وبين فقاقيع الهواء التى تظهر على سطح ماه ينبوع من الينابيع ، كيف اذن يدعى هؤلاء أنه من المستحيل أن توجد أكثر من سماء . بالنسبة لى فأنا لا أؤمن فقط بوجود سماء ثانية ، إنما أسعى للتأمل فى السماء الثالثة التى استحق القديس بولس الرسول أن يؤخذ إليها . أليس فى قول المرنم "سماء السموات" ، إشارة إلى وجود العديد منها . وهل هناك إختلاف بين عدد السموات وبين وجود ما يسميه الفلاسفة سبع حلقات يتفقون فيما بينهم على أن الكواكب السبع تمر من خلالهم ، ويصورون لنا هذه الدوائر على أنها حلقات ملتصقة ببعضها البعض ، وهذه الدوائر ـ كما يقولون ـ تنطلق فى إتجاه معاكس لإتجاه العالم وأن اصطدامها بالأثير يحدث أصواتاً عذبة متناغمة لا تضاهيها أعذب الألحان . واذا نحن طالبنا هؤلاء الفلاسفة بأن يثبتوا لنا قولهم هذا ـ كأن نسمع بآذاننا هذه الموسيقى العذبة ـ يقولون إننا من كثرة ما اعتدنا على سماع هذا النغم العذب باستمرار منذ ميلادنا باستمرار أصبحنا لا نميز تماماً مثل الرجال المشتغلين بالحدادة لا يتأثرون بأصوات الطرق .

http://coptic-treasures.com

ولكن فلنترك هذا الهراء لمن يهتم به من الذين هم خارج نطاق تعليم الكنيسة ولنعد لموضوعنا الروحى . بالنسبة لى ، أنا أرى أن الكتاب المقدس قد أعطى هذه السماء الثانية (الجلد) إسماً مختلفاً عن الأولى كما أنه وضح وظيفتها ، مما يوضح أن الثانية (الجلد) تختلف عن الأولى "فى البدء خلق الله السموات .." وانها قد خلقت من طبيعة أكثر صلابة من الأولى وأنها ذات وظيفة خاصة بالنسبة للكون .

٤ ـ "وقال الله ليكن جلد فى وسط المياه . وليكن فاصلاً بين مياه ومياه . فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التى تحت الجلد والمياه التى فوق الجلد" (تك ١ : ٦ ، ٧) .. قبل أن نتناول معنى هذه الآية فلننظر إلى بعض الآراء المعارضة . يسأل البعض كيف يمكن للجلد وهو ذو طبيعة مشابهة لطبيعة الغلاف الجوى كما نراه بأعيننا ، يقولون كيف يمكن لمحيطه المحدب أن يحتوى المياه التى تجرى فى الطبقات العليا ؟ ويمكننا أن نقول لهؤلاء شيئاً واحداً فقط : ليس معنى أن يكون الجزء الداخلى لجسم ما مقعراً أن يكون السطح الخارجى له مستديراً تماماً ، انظروا مثلاً مبنى له شكل الكوخ ، لاحظوا أن القبة التى تكون الشكل الداخلى للبناء من الممكن أن يكون سطحها مستوياً ، فليكف هؤلاء عن القول باستحالة الإحتفاظ بالماء فى الطبقات العليا .

الآن يجب أن نتحدث قليلاً عن طبيعة الجلد ولماذا صدر لها الأمر الإلهى أن تتوسط بين مياه ومياه يستخدم الكتاب المقدس كلمة الجلد للتعبير عن قوة خارقة "الرب جلدى وملجأى" ، "سبحوه فى جلد قوته" (مز ١٥٠) .

إن الفرق بين جسم قوى وجسم حسابى أن الأخير يوجد بثلاث أبعاد : عرض وعمق وإرتفاع ، على العكس من ذلك فإن الجسم الثابت القوى يضيف قوة المقاومة للأبعاد . والكتاب المقدس يستخدم كلمة جلد ليصف كل ما هو قوى وثابت ويستخدم نفس الكلمة للدلالة على تكثيف الهواء ، وهو الذى يعطى قوة للرعد كما يقول الكتاب (ع ٤ : ١٣) والمقصود بذلك أنه يعطى قوة مقاومة للريح المختزنة فى السحاب مما يؤدى إلى إحداث صوت الرعد . هنا بحسب ما يتضح لى أنه توجد مادة قوية قادرة على الإحتفاظ بالماء السائل ويبدو أن الجلد ينتمى أصلاً إلى

http://coptic-treasures.com

الماء وهو لا يمثل الماء المتجمد ، أو أى مادة أخرى ناجمة عن تقطير المياه مثل الكريستال أو الصخور الشفافة ، التى تتكون فى المناجم ، ذلك لأن مثل هذه الأحجار ، إذا عثر عليها الإنسان بدون أى شرخ أو عيوب فإنها تماثل الهواء فى نقائها ، ونحن لا نستطيع أن نشبه الجلد بأى من هذه الأحجار ، وأنا لا أجرؤ على القول بأن الجلد قد خلق من أحد هذه المواد أو من مجموعة منها ، لأن الكتاب المقدس يعلمنى ألا أجنح فى تفكيرى .

ولكن يجب أن ننوه أنه بعد الأمر الإلهى "ليكن جلد" لم يقل الكتاب «وكان جلد» ، انما يقول "فعمل الله الجلد وفصل بين المياه" . اسمعوا وافهموا أيها العميان ، من ذا الذى لا يسمع صوت الروح القدس ـ ومن هو الأعمى ؟ الذى لا يستطيع يرى هذه الأدلة والبراهين عن الإبن الوحيد الجنس القائل "ليكن جلد" إنه هو صوت الآب ، "فعمل الله الجلد" هذه شهادة لقوة الله الخلاقة العاملة فى الكون .

٥ ـ دعونا نستكمل شرح الايات : "ليكن فاصلاً بين مياه ومياه" (تك ١ :٦) .. إن حجم المياه التى كانت تغمر الأرض من كل جانب وترتفع معلقة فى الهواء ، كان بلا حدود حتى أنه لم يكن هناك تناسب بينها وبين العناصر الأخرى ، ونتسائل ما هو سبب وجود هذا الكم الهائل والفائض عن الحاجة من المياه ؟ من الملاحظ أن هذه المياه كانت تحيط بالأرض من كل جانب فى ثبات تام ، نتيجة لقوة جاذبية الأرض ، لذا فإن هذا الكم الهائل من المياه كان مستقراً على الأرض ويغمرها بكميات أكبر بكثير من حجم الأرض .

شكراً للخالق الأعظم الذى بعلمه السابق علم لإحتياج الأرض لهذه الكميات الهائلة من المياه ، ولكن ما سبب إحتياج الأرض لهذه الكميات الهائلة من المياه ؟ لقد كان عنصر النار ضرورياً للعالم من أجل استكمال الكون ، لأن الكون يكون ناقصاً إذا لم يكن العنصر الأكثر قوة والأكثر حيوية موجوداً ألا وهو النار . والنار والماء عنصرين متضادين يمكن لكل منهما القضاء على الآخر لو كان الأقوى ، وكان لابد من الحيلولة دون وقوع صدام بين هذين العنصرين حتى لا يؤدى ذلك إلى فناء الكون ، لذلك خلق الله هذه الكمية الهائلة من المياه لمواجهة تأثيرات النار المستمرة فى الكون وتكون كمياتها كافية لأداء هذه المهمة حتى الوقت المعين من قبل الله لفناء

http://coptic-treasures.com

العالم . إن الله الذى خلق كل شىء بحساب دقيق جداً والذى يعرف عدد قطرات المطر ، كما يقول أيوب الصديق (أى٣٦:٢٧) يعلم كم من الزمن سيبقى ويستمر الكون كوناً ، ويعرف كمية النار التى يجب التخلص منها حتى لا يفنى الكون . هذا هو سبب وجود الكميات الهائلة من المياه عند بدء الخلق .

ولكننا نعرف حاجة العالم لعنصر النار ـ إذ لا يمكن الإستغناء عنه ـ فجميع الحرف والصناعات تحتاج إلى النار ، لذلك كان لابد من وجود عنصر النار لإبقاء حياة عى الأرض ،كما كان لابد من وجود المياه الكثيرة للحد من تأثير عنصر النار على الحياة .

٦ ـ إذا تأملت الخلقة سوف تلاحظ أن قوة الحرارة تسود على كل ما يولد ويموت من أجل هذا وجدت المياه التى انتشرت فوق سطح الأرض والتى فى أعماق الأرض التى يصعب علينا رؤيتها ، فلقد امتلأت الأرض بكميات هائلة من الينابيع والآبار وعيون المياه ، كذلك مجارى الأنهار من أجل الإحتفاظ برطوبة الأرض . فمن الشرق يتدفق أعظم أنهار الأرض على الإطلاق كما يقول علماء الجغرافيا ومن الشرق الأوسط يتدفق (باكترس) ، و(تشوسبس) ، و(اراكسز) ، اضف إلى ذلك (فاسيس) الذى ينحدر فوق جبال القوقازإلى جانب العديد من لأنهار التى لا حصر لها التى تتبع من الشمال وتصب فى بحر (يوكساين) كذلك هناك العديد من الأنهار التى تبدأ فى البلاد الدافئة فى الغرب ، ومنها ما يعبر أوروبا ليصب فى بحر (يوكساين) ، كذلك هناك العديد من الأنهار التى تمد البلاد الغربية بالمياه ثم تصب فى البحر الغربى . كما يوجد غيرها تتدفق من الجنوب عبر أثيوبيا ويصبون فى بحارنا أو غيرها من البحار أو النيل الذى يغمر أرض مصر بفيضانه . من هذا يتضح لنا أن أرضنا الآهلة بالسكان محاطة بالمياه ومرتبطة بحلقة البحار التى تحوطها وتحصل على ماء الرى من الأنهار التى لا حصر لها . شكراً لحكمة الله التى حالت دون فناء هذه المياه بواسطة الحرارة . إلا أنه سوف يأتى وقت حين تفنى النار كل شىء كما يقول أشعياء النبى عن الله خالق هذا الكون "القائل للجة انشفى وانهارك اجفف" (أش ٤٤:٢٧) ..

لذلك أطلب إليكم أن ترفضوا حكمة هذا العالم الخاطئة وتقبلوا معى تعاليم الحق الأكثر بساطة وهى ثابتة إلى الأبد .

http://coptic-treasures.com

٧ ـ نحن نقرأ : «ليكن فى وسط المياه . وليكن فاصلاً بين مياه ومياه» لقد أوضحت سابقاً ما يعنيه الكتاب المقدس بكلمة «جلد» ، فى الواقع هو ليس مادة صلبة وقوية لها وزن وقوة مقاومة ، لأن هذا يناسب بالأكثر الكرة الأرضية ولكنه مصنوع من مادة يصعب علينا إدراكها باحدى حواسنا البشرية فهى خفيفة وغير ثابتة .

إذا كان صعب عليك أن تصدق بوجود هذا الكم الهائل من المياه ، عليك أن تتأمل قوة الحرارة الهائلة التى من الممكن أن تؤدى إلى الجفاف . من ذا الذى يشك فى أن الأثير هو نار متوهجة ؟ ولولا أن الله الخالق قد وضع لها حدود لكانت قد امتصت المياه من جميع الكائنات المحيطة . المياه المعلقة فى الهواء التى تغطى السماء بالبخار المتصاعد من الأنهار والينابيع والبحيرات والبحار إنما يمنع الأثير من حرق الكون . ونحن نلاحظ أن الشمس فى فصل الصيف تحول بلدة مشبعة بالرطوبة إلى مكان جاف فى دقيقة . ما الذى حدث ؟ لقد تبخرت المياه وارتفعت إلى أعلى بواسطة حرارة الشمس . يقول البعض أن الشمس بلا حرارة !! كم من الوقت يضيع هؤلاء القوم هباءاً !! إنهم يقولون أن لونها أبيض وليس أحمر أو أصفر وأنها ليس لها طبيعة النار !!

ما النفع من وراء هذا الهراء ، إن يدعوا أن الشمس لا تودى إلى تبخر المياه !! على الرغم من أن هذا القول خاطىء إلا أنه يخدم حجتى . لقد قلت أن الحاجة ماسة إلى كميات هائلة من المياه لخفض حرارة الكون ، وسواء كانت حرارة الشمس تنبعث من طبيعتها أو نتيجة لدورانها حول نفسها فالنتيجة واحدة ، تأثير الحرارة على الأشياء مستمر .

مثلاً إذا اشعلت عودين من الحطب بواسطة حكهما ببعضهما البعض أو عن طريق تعريضهما للنار مباشرة ، فالنتيجة واحدة . إلى جانب هذا نحن نلاحظ أن حكمة الله العليا التى تحكم الكون كله قد جعلت الشمس تسافر من منطقة إلى أخرى نظراً لأن بقاء الشمس فى مكان واحد بصفة مستمرة يؤدى إلى أن تدمر حرارتها الزائدة نظام الكون . ففى توقيت الإنقلاب الشتوى تنتقل جنوباً ثم شمالاً فى توقيت الإنقلاب الصيفى ، وبذلك تحافظ على درجة حرارة ملائمة للعالم .

يقول البعض أن كمية المياه التى تمتصها الشمس بواسطة حرارتها هى التى تمنع البحار

http://coptic-treasures.com

والأنهار من الفيضان ، ان حرارة الشمس تمتص المياه النقية وتترك الأملاح والمرارة العالقة بالمياه وهذا بفضل ما تتميز به الشمس من إمكانات تمكنها من إجتذاب الأشياء الخفيفة الوزن ، وتترك فى الأرض ككل ما هو كثيف مثل الطين والطمى . من هنا تظهر ملوحة ومرارة مياه البحار وكذا قدرتها على أن تجف . وبالرغم من كل هذا فإن البعض يقول إنه لا يمكن خفض نسبة المياه بواسطة الشمس .

٨ ـ "ودعا الله الجلد سماء" .. إن طبيعة النور خاصة بالسماء والجلد يشارك السماء فى ذلك بناء على الشبه بين الجلد والسماء ، وعادة نحن نقول عن الجزء الأعلى الذى نراه بعيوننا أنه سماء وكلمة سماء مشتقة من الكلمة التى تعنى «يرى» . عن هذا يقول الكتاب المقدس "طيور السماء" (مز ٨:٨) وأيضاً "ليطر طير .. علي وجه جلد السماء" (تك ١:٢٠) وفى موضع آخر يقول الكتاب "يصعدون إلى السموات" (مز ١٠٧:٢٦) ، وعندما بارك موسى سبط يوسف طلب لهم "نفائس السماء بالندى .. ونفائس مغلات الشمس ونفائس منبتات الأقمار ومن مفاخر الجبال القديمة ومن نفائس الآكام الأبدية" (تث ٣٣:١٣ ـ ١٥) أى أنه طلب له بركات من كل ما يسبب خصوبة الأرض .

ومنذ ذلك الحين عندما يذكر الكتاب أن الندى أو المطر يسقط من السماء ، نفهم أن مصدرها تلك المياه التى أمرها الخالق بالإرتفاع هكذا فى طبقات الجو العليا ، وعندما تتجمع الغازات المتصاعدة من الأرض فى طبقات الجو العليا وتتكثف بتأثيرات ضغط الهواء تتحول إلى أبخرة وسحب ، ثم تصطدم لتتحول إلى قطرات ماء تتساقط على الأرض بحكم ثقلها التى هى الأمطار . هذا الماء المتساقط إذا صادف رياح شديدة البرودة ، يتجمد ويخترق السحاب ليسقط على هيئة ثلوج .

٩ ـ بخصوص فصل مياه عن مياه ، أجد نفسى مضطراً إلى الإشارة إلى بعض من يكتبون فى الكنيسة . يقول بعضهم أنه فى الطبقات الأعلى فوق الجلد يوجد الأفضل بينما يوجد فى الطبقات السفلى حيث الأرض والمادة ، يوجد الأسوأ ، يقول هؤلاء أن المياه العليا تسبح الله والمقصود هنا قوات الخير التى تؤهلها نقاوة أرواحها تسبيح الله . والمياه التى تحت السموات تمثل

http://coptic-treasures.com

الأرواح الشريرة التى سقطت من مكانتها المرتفعة إلى عمق الشر . وكل المنقادين بشهواتهم أعطوا إسم البحر وذلك لأنهم متزعزعين غير ثابتين . يجب علينا أن نرفض هذه الأقوال ونعتبرها خرافات .

ولنفهم أن الكتاب المقدس عندما يذكر المياه فهو يعنى المياه وليس شيئاً آخر . وبالرغم من أن المياه المرتفعة فوق السماء تعطى مجداً لسيد هذا الكون إلا أننا يجب أن نتصور أنها مخلوقات عاقلة أو حية لمجرد كونها «تعطى المجد لله» ، كذلك الجلد ليس كأننا عاقلاً لمجرد أنه "يخبر بعمل يديه" (مز١٨: ١) . وإذا قيل لنا أن السموات تعنى قوات لها قدرة على التأمل وأن الجلد هو قوات نشطة لعمل الخير ، فنحن لا نستطيع الإعتراف بصحة هذا القول . لأنه إذا كان الأمر كذلك إذاً لكان الندى والصقيع والبرد والحرارة التى أمرت فى سفر دانيال أن تمدح خالق الكل ذوطبيعة عاقلة غير مرئية . ولكن هذا مجرد تصور تقبلها العقول المستنير لتمجد الله . بالإضافة إلى ذلك فإن المياه الكائنة فوق السموات ليست المياه الوحيدة التى تعطى المجد لله ، بل يقول المزمور "سبحى الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللجج" (مز١٤٨: ٧) .. إذا فالمرنم لا يستبعد «أعماق البحار» على أنها تحتوى الشر وانما يقرر تنتمى إلى كورال الخليقة ، فاللجج تغنى بلغتها ترنيمة عذبة لمجد الله الخالق .

١٠ ـ "ورأى الله ذلك أنه حسن" .. إن الله لا يحكم على جمال أعماله برؤى العين ، وفكرته عن الجمال مختلفة عن فكرتنا نحن عن الجمال . الله يحكم على العمل أنه جميل إذا كان كامل وتام من الناحية الفنية ، وإذا كان يؤدى الغرض المراد من تكوينه ، ومعنى هذا أن الله الذى خلق كل هذه الأشياء قرر أنها جميعها صالحة للغرض الذى من أجله تكونت . مثال على ذلك إذا انفصل جزء من أجزاء تمثال ، فلتكن يد أو عين مثلاً .. انفصلت عن التمثال نفسه ، تفقد جمالها ، ولكن إذا وضع كل جزء فى مكانه الصحيح سيكون جميلاً فى أعين حتى هؤلاء الذين لا يتذوقون الجمال . والفنان قبل أن يضع كل جزء فى مكانه ليكون وحدة واحدة ، فإنه يراعى جمال كل جزء من هذه الأجزاء . بما يوافق تصوره للوحدة الفنية ككل . بنفس الفكرة يظهر لنا الكتاب المقدس الفنان الأعظم وهو يمتدح جمال كل جزء من أجزاء عمله ، وما أن

http://coptic-treasures.com

ينتهى العمل حتى يمتدح الخالق العمل كله .

دعونى اختم حديثى عن اليوم الثانى ، حتى أعطى الفرصة لسامعى من الصناع أن يمتحنوا ما سمعوه منى . أرجو أن يحفظوا هذا الكلام فى ذاكرتهم من أجل المنفعة الروحية ومن خلال تأملاتهم المتأنية فى هذه الكلمات يستوعبوا ويستفيدوا بكلامى . بالنسبة للذين يعملون من أجل لقمة العيش ، اسمح لهم بأن ينصرفوا إلى أشغالهم طوال النهار حتى يعودوا إلى وقد تحررت أرواحهم ونفوسهم من هموم العالم ويستفيدوا من حديثى .

ادعوا الله ، الذى بعد أن خلق هذه الأمور العظيمة ، قد وضع فى فمى هذه الكلمات الضعيفة ، أن يمنحكم علم معرفته حتى يمكنكم أن ترتفعوا بأنفسكم فوق مستوى المرئيات إلى الله غير المرئى ، وأن عظمة وجمال المخلوقات سوف تمنحكم فكرة صحيحة عن الخالق ، لأن أعماله واضحة ومرئية وقوته وألوهيته هما إلى الأبد (رو١ : ٢٠) . لذلك فان الأرض والهواء والسماء والماء والنهار والليل وجميع الأشياء المرئية تذكرنا بخالقنا وراعينا ، من أجل هذا سوف لا نعطى فرصة للخطية أن تبعدنا عنه ولا نعطى مكاناً للشر الذى بداخل نفوسنا ، وذلك عن طريق التأملات التى لا تنقطع التى تجعلنا نحتفظ بالله فى قلوبنا الآن وإلى الأبد . آمين .

http://coptic-treasures.com

العظة الرابعة

لتجتمع المياه إلى مكان واحد

١ ـ قد تخلب أذهان سكان بعض المدن خدع العديد من السحرة . وهم لا يملون من سماع الأغانى الفاسقة التى تنجس أرواحهم ، بينما يظنون وكأنهم قد بلغوا السعادة وذلك لأنهم يهملون أعمالهم التى تجلب لهم الرزق ويضيعون أيام حياتهم المعطاة لهم على هذه الأرض فى المتعة الباطلة الزائلة وهم لا يعلمون أن مثل تلك المسارح الممتلئة بمشاهد الخطية هى لهم مدارس تعلمهم الخطية ، فهذه الأغانى الشجية المضللة تخترق أرواح هؤلاء المستمعين الشغوفين إلى تقليد مثل هذه الألحان ، فتملأهم دنساً . بينما البعض الآخر مولع بالخيل ، حالمين بها فى لياليهم ، مسرجين عرباتهم ، فى شغل بحماقاتهم ليلاً ونهاراً .

فهل نحن ، الذين دعاهم السيد الرب الصانع العجائب إلى التأمل فى أعماله ، نتعب إذ ننظر إليها كثيراً ، أو أننا نصم آذاننا عن سماع كلمات روحه القدوس؟ . ألا يجدر بنا أن نقف حول أعمال خلقه الإلهى المتسعة والمختلفة فنرجع بأذهاننا إلى زمان القدم وننظر نظام الخلق؟ ونردد مع النبى كلماته ، السماء قبو والأرض كتلة عظيمة ترتكز على ذاتها ، حولها الهواء ذى الطبيعة الرقيقة هو غذاء دائم وحقيقى لكل من يستنشقه ، يجارى فى رقة ولطافة أقل حركات الجسم فلا يقاوم تحركاتنا ، بل يعود ادراجه إلى مكانه . وأخيراً المياه التى تمد الإنسان بالشرب ، وقد خلقت لتمد الإنسان بإحتياجاته ، تجمعت بشكل معجزى إلى أماكن قد حددت لها : هذا هو المنظر الذى ستراه من خلال كلمات الوحى ..

٢ ـ "وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة . وكان كذلك" (تك ١ :٩) ، فتجمعت المياه تحت السماء إلى مكان واحد "ودعا الله اليابسة أرضاً .

http://coptic-treasures.com

ومجتمع المياه دعاه بحاراً" (تك ١: ١٠) .. كم من التعب سببته لى اسئلتكم حول الأرض ، ولماذا كانت غير مرئية ، ولماذا صارت المادة ذات ألوان ، ولماذا يظهر اللون للنظر .. وكأن إجاباتى لم تكن كافية ، عنما ارجعت سبب اختفاء الأرض عن الأعين ، لكتلة المياه التى تحيط بها بل تغطيها كلية فلنسمع إذا كلمات الوحى "لتجتمع المياه وتظهر اليابسة" .. رُفع الحجاب فظهرت الأرض التى لم تكن مرئية ، لعلكم تسألونني أسئلة أخرى . أليس قانون الطبيعة يجعل الماء يتدفق لأسفل ، لماذا اذن يعتبر الوحى هذه الظاهرة أنها حسب أمر الخالق؟ فطالما تنتشر المياه على سطح مستقيم هل لا تتدفق ، هى فى هذه الحالة لا تتحرك . ولكنها متى وجدت منحدر تبدأ فى التدفق، الجزء الأول أولاً ويليه الآخر ليحل الثالث مكانه وهكذا .. تتدفق المياه باستمرارية فتضغط بعضها على بعض وتعتمد سرعة جريانها إلى كمية كتلة المياه فقد كان ليس من الضرورى أن يقال لتجتمع المياه فى مكان واحد . فبحسب طبيعتها التى تتميز بعدم الثبات ، كانت بالضرورة ستتحرك إلى أكثر مناطق الأرض عمقاً ، ولن تتوقف حتى يستقر منسوب سطحها ، فليس هناك شيئاً أكثر استواء قدر منسوب المياه ويذهب البعض إلى أكثر من ذلك اذ يتساءلون : كيف تلقت المياه أمراً لتجتمع فى مكان واحد ، ونحن نجد بحار عديدة تفصلها مسافات شاسعة ؟ ..

رداً على السؤال الأول أقول : منذ أن كان أمر الرب وأنتم علي بينة من حركة المياه ، فهى غير ثابتة ، وغير مستقرة وتتدفق بطبيعتها تجاه المنحدرات والأماكن الأكثر عمقاً . ولكن ما عسى أن تكون طبيعتها قبل ذلك الأمر الذى جعلها تحدد لذاتها طريقاً؟ فأنتم لا تعرفون ، كما أنكم لم تسمعوا أية شهادة عيان ، فكروا فى الحقيقة ، فى كلمة الله التى تصنع الطبيعة وتحدد للمخلوق اتجاهه فى المستقبل . لقد خلق النهار والليل خلقة واحدة ومنذ تلك اللحظة ، تلا بعضهما الآخر فى استمرارية ، فقسما الوقت إلى أجزاء متساوية .

٣ ـ "لتجتمع المياه معاً" .. تم الأمر أن تكون للمياه طبيعة متدفقة ، وفى طاعتها لله لم تقف لحظة . فى الإشارة إلى ذلك الأمر ، لا أذكر إلا طبيعة تدفق المياه ، فيتدفق البعض البعض كالينابيع والأنهار بينما يتجمع البعض الآخر ويقف بلا حراك .. "لتجتمع المياه إلى مكان

http://coptic-treasures.com

واحد" ألم تفكر لحظة ، متى وقفت بجانب ينبوع تتدفق فيه المياه بغزارة ، من يجعل المياه تتدفق هكذا من باطن الأرض ؟ من يدفعها ؟ أين هى الخازن التى ترسل هذا التدفق ؟ إلى زى مكان هى تسرع ؟ كيف لا تستهلك فى مكان أو تفيض فى آخر ؟ فكل ذلك يرجع إلى الأمر الأول ، لقد كان أمراً للمياه يحدد لها طريقها .

فى قصة المياه هذه ، اذكر الأمر الأول الذى قال «لتجتمع المياه» لقد أمر الرب المياه لتأخذ أماكنها المحددة ، أمرت المياه أن تتدفق وتصل لمكانها فتستقر لا تبعد . لذا فى كلمات سفر الجامعة "كل الأنهار تجرى إلى البحر والبحر ليس بملآن" (جا ١ : ٦ ـ ٧) .

تنساب المياه بأمر الله ، والبحر تحده تخومه بحسب القانون الأول ، "لتجتمع المياه إلى مكان واحد" . خوفاً من أن تنتشر المياه فتجتاز تخومها وتتكرر تعدياتها فتغطى البلاد وتفيض على سطح الأرض كلها ، تلقت أمرها فى أن تجتمع فى مكان واحد . لذا نجد البحر الهائج يقذف بأمواجه عالية نحو السماء ولكن متى لمست مياهه الشاطىء عادت ادراجها "أأياى لا تخشون يقول الرب أو لا ترتعدون من وجهى أنا الذى وضعت الرمل تخوماً للبحر فريضة أبدية لا يتعداها فتتلاطم ولا تستطيع وتعج أمواجه ولا تتجاوزها" (ار ٥ : ٢٢) . فتكبح حبة الرمل ، التى هى أضعف الأشياء ، ثورة المحيط الهائج . وإلا ماذا إذن يمنع البحر الأحمر من مهاجمة مصر التى تقع أسفله ، فيتعد مع ذلك الآخر الذى ينساب على شواطئها ، ما لم يكن قيد بأمر الخالق ؟ ..

٤ ـ عندما نذكر أن المياه اجتمعت إلى مكان واحد ، فذلك يدلنا على إنتشارها فيما سبق ، فقد تلاقت الجبال فى الوديان الضيقة العميقة حيث تراكمت المياه ومنها خرجت آتية من كل اتجاه لتجتمع فى مكان واحد .. أية مساحات شاسعة كانت تشبه فى سعتها البحار الكبيرة ، أية وديان وتجاويف قد فرغت من المياه بعد أن كانت ملآنة للغاية ، إلا بأمر الله !!

ولكن لا يجب علينا أن نعتقد أن كل المياه إذ هى غطت سطح الأرض ، كانت أيضاً قد ملأت الأنهار قبل أمره . فمن أين جاءت المياه لو أن أحواض الأنهار كانت ملآنة بها ؟ فقد كانت أحواض الأنهار مجهزة فى تلك اللحظة التى جاء فيها الأمر الإلهى للمياه بأن تجتمع فى مكان

http://coptic-treasures.com

واحد . فلم يكن قد خلق بعد البحر الذى وراء كاديرا والمحيط العظيم الذى ركبه البحارون والمحيط بالجزيرة البريطانية وأسبانيا الغربية . فقد خلق الله تلك المساحات الشاسعة فى لحظة ، فتدفقت فيها كتلة المياه .

لو اختلف شرحنا لخلق الكون أمام التجربة العلمية ، إذ أنه من الواضح أن المياه لم تتدفق معاً إلى مكان واحد .، فنحن بجراء أن نعطى تفسيرات كثيراً ما يظهر اتضاحها جلياً بمجرد إعلانها . ولعله لشىء يدعو للسخرية أن نحاول الرد على هذه الإدعاءات . هل يكتفون بالمستنقعات وأماكن تجمع مياه الأنهار ليعارضوا تفسيرنا؟ فمن الواضح أن تدفق المياه الأول هو ما كان تحت عنوان التجمع إلى مكان واحد .. فالآبار أيضاً هى أماكن تجمع للمياه صنعتها يد الإنسان ليتجمع فيها أبخرة المياه المنتشرة فى جوف الأرض ، ولكن هذا التجمع لا يعنى أى تكتل للمياه ، ولكنه أهمها وأعظمها حيث تجمع فيها ذلك العنصر (المياه) . وبنفس الطريقة ، كما تنقسم النار إلى جزيئيات دقيقة تكفى لسد احتياجاتنا ، تجتمع فى كتلة واحدة فى الأثير . والهواء أيضاً يحتل المجال الجوى حول الأرض بينما هو ينقسم بذات الدقة إلى جزيئيات صغيرة . كذا الحال مع المياه ، فالبرغم من إنتشار جزء صغير منها فى كل مكان ، فإنها تجتمع فى مكان واحد يفصلها عن باقى العناصر .

وبلا شك ، تعتبر البحيرات والمناطق الشمالية ومناطق المياه فى اليونان ومكدونية وبيثينية وفلسطين ، مناطق لتجمعات المياه . ولكن التجمع هنا يعنى أعظم تجمع لها فى مساحة تعادل مساحة اليابسة (أو أكثر) . فلا أحد ينكر أن هذه المناطق تحوى كميات مياه هائلة ولكن لا يستطيع أحد أن يعطيها لفظة بحار حتى لو شابهت البحر العظيم واختلطت مياهها بالملح والرمال . فهم يذكرون كمثال ذلك (the lacus Asphaltitis in Judea) وبحيرة (Serbonian) الواقعة بين مصر وفلسطين فى صحراء العرب . كل هذه تعد بحيرات ، وهناك بحر واحد كما أكد بذلك من طاف حول الأرض . وبالرغم من أن بعض السلطات تعتقد أن البحر Hyrcanian وبحر Cespian يقعان داخل حدودهما ، فهم يتصلان ، كما يقول علماء الجغرافيا ثم يصبان فى البحر العظيم . فيكون على حد كلامهم ، أن البحر الأحمر وذلك

http://coptic-treasures.com

الذى وراء جاديرا ، هما فى الحقيقة واحد ـ اذن لماذا دعا الله تكتلات المياه المختلفة بحاراً؟ هذا هو التفسير : تدفقت المياه إلى مكان واحد ، فتكبلت فى الخلجان التى احتضنتها الأرض ، وأصبح اسمها بحاراً كأمر القدير : البحر الشمالى ، البحر الجنوبى ، البحر الشرقى ، والبحر الغربى. وأصبح للبحار اسماءها , The Euxine , the Propontis , the Nellespont وأسماء أخرى the Aegean , the lonian , the Sardinian , the Tyrrhene) كثيرة لن يسع الوقت والمكان حصرها. لذا دعا الله أماكن تجمع المياه بحاراً . دعنا الآن نعود إلى حيث بدأت مناقشتنا .

٥ ـ قال الله "لتجتمع المياه تحت السماء إلي مكان واحد ولتظهر اليابسة" ..لم يقل ، ولتظهر «الأرض» ، لئلا تظهر وكأنها بلا شكل ، مجرد شيء طيني اتحد بالمياه ، ولئلا تظهر أيضاً وكأنها أخذت شكلها النهائى . فى نفس الوقت يظهر لنا الخالق ظهورها جافة قبل خلق الشمس لئلا نرجع سبب جفافها إلى الشمس . لذا هلم بنا إلى فكر الكتاب المقدس . لم تتدفق المياه التى غطت الأرض فقط بل انسحبت كل تلك المترسبة فى أعماق الأرض ، اذ أطاعت أمر السيد العظيم الذى لا يرد . وكان كذلك .. فهذا يكفى ليؤكد عظيم تأثير صوت الخالق ، وفى طبعات أخرى تجد تلك الإضافة ، "وتجمعت المياه تحت السماء إلى مكان واحد وظهرت اليابسة" فلم يكتب المفسرون مثل هذه الكلمات وهى لا تتفق مع الاستخدام العبرى . فقد اكتفوا بالتأكيد «وكان كذلك» ، فلا داعى لتكرار ذات الفكرة . وفى الطبعات الدقيقة ، وضعت هذه الكلمات بين علامة (–) (–) وقد كانت تلك العلامة تستعمل فى المخطوطات القديمة للدلالة على كلمات أو فقرات مشتبه بها .

"ودعا الله اليابسة أرضاً ومجتمع المياه دعاه بحاراً" .. لماذا اذن يقول الكتاب ان المياه تجمعت فى مكان واحد وظهرت اليابسة ؟ لماذا أضاف ظهور اليابسة وأن الله دعاها أرضاً؟ فاليابسة هى الصفة التى تميز طبيعتها بينما تعد لفظة "الأرض" اسمها البسيط . فكما أن العقل هو الهبة المميزة للإنسان ، تعد لفظة إنسان هى ما يميز ذلك المخلوق الذى له تلك الهبة . كذا الحال مع لفظة «اليابسة» ، فهى الصفة الخاصة والمميزة للأرض . اذن يأخذ عنصر اليابسة إسم "الأرض" ،

http://coptic-treasures.com

كما يأخذ الحيوان الذى يصهل إسم حصان . ومثل الأرض فإن لسائر العناصر صفات تميزها عن الأخرى .، فللماء طبيعة البرودة ، وللهواء الرطوبة ، وللنار الحرارة .. وتنطبق هذه النظرية على عناصر الكون الأولية فقط . فتظهر طبيعة العناصر التى تكون الأجسام فى اتحادها معاً ، لذا لا ترى عيوننا ولا تدرك حواسنا أى شيء منها فى الطبيعة متفرد وبسيط ونقى . فالأرض هى جفاف وبرودة معاً . المياه برودة ورطوبة ، الهواء رطوبة ودفء ، النار دفء وجفاف . فبإتحاد تلك الصفات ، تختلط العناصر المختلفة . فشكراً لصفة كل منها التى تخلطها بسائر العناصر وارتباطها الطبيعى ، هذا يربطها بالعنصر المضاد . فبينما تعد الأرض جفاف وبرودة فهى تجد فى البرودة صلة تربطها بالماء الذى يربطها بالتالى بالهواء ، فتظهر المياه بين الاثنين واذ لها طبيعة مزدوجة ، تربط ذاتها بالأرض من حيث البرودة ، وبالهواء من حيث الرطوبة ، والهواء بدوره يؤدى نفس العمل بين الماء والنار فيربط ذاته بالأول من حيث الرطوبة وبالثانى من حيث الحرارة . وأخيراً النار التى تربط ذاتها بالهواء من حيث الدفء وبالأرض من حيث الجفاف . وينتج عن هذا الإتحاد بين العناصر دائرة منسجمة تجعل كل من العناصر مستحقاً لاسمه . لقد قلت كل ذلك لأفسر لك لماذا دعا الله اليابسة أرضاً بدون أن يدع الأرض جفاف . ذلك لأن طبيعة الجفاف لم تكن للأرض أن تكتسبها إلا بعد وقت طويل ، إنما حددت طبيعتها منذ البداية . فما يسبب بقاء جسم يسبق صفاته الأخيرة وله سيادة فوقها . لذا اختار الله أقدم صفات الأرض ليدل عليها .

٦ ـ "ورأى الله ذلك أنه حسن" .. فلا يهدف الكتاب إلى الإشارة إلى أن طبيعة البحر الحسنة قدمت ذاتها لله . فالخالق لا يرى جمال أعماله بالعين ، فهو يتأملها بحكمته التى لا توصف ولا ينطق بها ، فيا له من مظهر بديع إذ نرى البحر مستقر ، وهو لبديع أيضاً أن نرى وقد حركته نسمة الهواء الرقيقة بلون أزرق سماوى فبدلاً من هياجه على الشواطىء المجاورة نجده يحتضنها فى سلام . ولكنه ليس بسبب هذا أن الكتاب يجعل الله يجد فى البحر حسنه ، بل هو الهدف من عمله الذى يبدو حسن . ففى المركز الأول تعد مياه البحر مصدراً لرطوبة الأرض ، فهى ترشح من خلال قنوات غير محسوسة ، كما يثبت ذلك الفتحات والكهوف الموجودة تحت سطح الأرض حيث تنفذ الأمواج وتجرى فى قنوات مائلة ومتعرجة ، فتندفع إلى سطح الأرض

http://coptic-treasures.com

وتكسرها فوقها بعد أن تخلصت من مرارتها خلال عملية التقطير (الفلترة) الطويلة . فهى دائماً ما تتحرك بنفس الدافع ، فتخرج دافئة لدفىء الآبار التى عبرتها وتفيض فى غليان بسبب السخونة التى تعرضت لها كما هو الحال فى الجزر وعلى شاطىء البحر وفى سائر الأرض فى أماكن أخرى مجاورة للأنهار ، اذا قارنا الأشياء البسيطة بالأشياء العظيمة منها ، سنجد نفس الظاهرة تتكرر .. ولماذا كل هذه الكلمات ؟ .. لنثبت أنه تشق الأرض قنوات لا تُدرك ، تتحرك فيها المياه فى كل مكان تحت سطح الأرض آتية من البحار كمصدر لها .

٧ ـ لذا يحسن البحر فى عينى الله لأنه يرطب أعماق الأرض . كما أنه حسن آذ هو يستقبل الأنهار على جوانبه المختلفة فتصب فيه بدون أن يتعدى تخومه . هو حسن لأنه مصدر المياه الموجودة فى الهواء . وهو يتبخر تحت تأثير أشعة الشمس الدافئة ، فتتصاعد أبخرته إلى مجالات الهواء العليا ، وهناك تبرد اذ هى تعدت مجال انكسار الأشعة على الأرض ، وتكمل خلال السحاب لو ارتاب البعض فى هذا الكلام ، دعهم ينظرون المراجل الممتلئة ماءاً وهى على النار ، فهى فارغة لأن كل مياهها قد وصلت حد الغليان فتحولت إلى أبخرة . كما يغلى البحارة مياه البحر ليجمعوها على هيئة بخار فى اسفنج تطفىء ظمأهم فى وقت الحاجة . وأخيراً فان البحر حسن فى عين الله ، اذ يمثل حزاماً حول الجزر ، فكأن يحيطها حاجز جميل وهو يقرب المسافات بين أجزاء الأرض المتباينة فيسهل الإتصال بين الملاحين . بهذا ، ينعم علينا البحر بالعلم الوفير ، ويوفر للتاجر ثروة وبسهولة يمدنا بضرورات الحياة فيسهل للأغنياء تصدير ما زاد عن حاجتهم وينعم على الفقراء بما يحتاجون .

ولكن من أين أدرك حسن المحيط فى عينى الخالق؟ فلو كان المحيط حسن فى عينى الله وجديراً بالمدح ، فكم بالحرى يكون اجتماع شعب الله فى كنيسته جميل ، حيث تختلط فيه أصوات الرجال والأطفال والسيدات فى صلاتهم لله ، وكأنهم أمواجاً تضرب بالشاطىء . فإن الكنيسة تتمتع بروح الوداعة التى تقف أمامها الروح الحاقدة صاحبة البدع والهرطقات ، عاجزة وهى تستحق تأييد الرب هى تخلص لرعايته الصالحة فى شخص الهنا يسوع المسيح الذى له المجد والقدرة إلى الأبد آمين .

http://coptic-treasures.com

العظة الخامسة

«إنبات الأرض» ..

١ ـ "وقال الله لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه بزره فيه على الأرض" (تك ١: ١١) .. إنها لحكمة عظيمة وعميقة تلك التى أمرت الأرض أن تنبت أولاً عشباً ثم شجراً ، عندما استقرت بعد التخلص من حمل المياه الثقيل . وللآن تعمل الأرض فى الإنبات . اذا كان الصوت المسموع والأمر المعطى بمثابة قانون طبيعى ودائم لها ، فأعطيت خصباً وقدرة على الإثمار لكل الأزمنة الآتية "لتنبت الأرض" .. إن إنتاج الخضر يشير إلى الإنبات الأول ، عندما تبدأ البذرة فى الإنبات تنتج عشباً وهذا العشب ينمو ويصبح نباتاً ثم يصل إلى النضوج فيخرج بذرة . فكل ما ينبت ويخضر ينمو «لتنبت الأرض عشباً أخضراً» فكان الأمر "لتنبت الأرض" بفعل ذاتها بدون أية مساعدة خارجية . فالبعض يظن أن الشمس سبباً لإنتاجية الأرض . فيقولون إن حرارة الشمس تجذب القوة الكامنة فى مركز الأرض إلى السطح ويرجع سبب تمام زينة الأرض قبل خلق الشمس إلى أنه بعض من يعبد الشمس فى ظنهم انها مصدر للحياة ، ويجب عليهم أن ينبذوا زعمهم ، فلو اقتنعوا أن الأرض قد تمت زينتها قبل تكوين الشمس سوف يرجعون عن اعجابهم غير المحدود بالشمس ، وعندما يرون أن العشب والنبات قد أفرخا قبل ظهورها ، فإذا كان القدير قد رتب غذاء للقطعان والأسراب فكم بالحرى جنسنا يستحق منه بعض العناية؟ فمن أمد الخيل والماشية بمرعى لها ، فكر قبل كل شيء فى أمر ثرائك ومتعتك ، فهو اذن أطعم ماشيتك وغايته أن يوفر لك كل ضرورات حياتك . فماذا كان الهدف من اخراج بذار لإبقائك؟ الأكثر من ذلك هو أن العديد من العشب والنباتات هى غذاء لبنى البشر .

http://coptic-treasures.com

٢ ـ "لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً كجنسه .." .. فبالرغم من أن بعض أنواع العشب هى غذاء للحيوان فهى لمنفعتنا أيضاً ، اذ خلقت البذور لأجلنا . فهذا هو المعنى الحقيقى لكلمات الآية «لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً كجنسه» . وعلى هذا الحال نستطيع أن نعيد ترتيب الكلمات . فأولاً يأتى الأفراخ ثم الأخضار ويليه نمو النبات التى تكتمل نموها فيظهر تمام كمالها فى البذرة . اذن كيف يدعون أن الكتاب وصف نباتات الأرض بأكملها على أنها حاملة بذور ، بينما القصب والنخيل الصغير والنعناع والزعفران والثوم والسمار وأنواع أخرى كثيرة لا تخرج بذراً؟ لذا نفسر ذلك بأن كثير من النباتات تكون فاعليتها فى جزئها السفلى والجذور . فالقصب مثلاً بعدما ينمو سنوياً يخرج نتوءاً من جذوره تأخذ شكل البذرة للشجر الذى يليه نمواً. وأمثال أخرى عديدة تتكاثر عن طريق الجذور . فليس هناك أصدق من أن كل نبات يكثر عن طريق بذرة أو صفاته الخاصة به ، وهذا هو ما تعنيه عبارة "كجنسه" . فساق القصب لا تخرج مثلاً شجرة زيتون ، إنما تخرج قصباً آخر ، كما هو الحال مع البذور التى تفرخ نباتاً كجنسها . فما نبت على سطح الأرض منذ بدء الخليقة مازال إلى الآن كما هو للتكاثر المستمر كجنسه . "لتنبت الأرض" .. انظر كيف أن هذه الكلمات القصيرة والأمر الموجز جعل الأرض الباردة والعقيمة تتمخض وتهرول فتثمر ثمراً وتتخلص من ذلك الكساء الحزين فتبدله بآخر بهيج ، مفتخرة بزينتها وعرضها لأنواع لا حصر لها من النباتات ..

ما ابغيه هو أن تنفذ قصة الخلق إلى داخلك فتملأك بالإعجاب فى كل مكان وحيثما كنت ، فتذكرك أقل النباتات بالقدير الخالق . فلو رأيت العشب فى الحقول فكر فى طبيعة البشر ، وتذكر المقارنة التى قام بها أشعياء الحكيم "كل جسد هو عشب وكل صلاح هو كزهر الحقل" .. حقاً فإن عجلة الحياة السريعة وقصر فترة الإمتاع تلك التى تمنح لحظات سعادة للإنسان تتناسب تماماً ومقارنة أشعياء النبى . فاليوم هو مفتول العضلات متمتع بأطايب الحياة وفى مقتبل العمر فى تفتح الزهور ، قوى ذا طاقة ، غدا هو محل شفقة الجميع اذ مضى به قطار العمر ، واعياه المرض ، وآخر يتوهج فى ثراء فاحش يحيط به حشد من المتملقين والأصدقاء الكاذبين يمدحونه لصفاته الحسنة الخيالية فهم جمع غفير ولكن لا تربطهم به أواصر صداقة وخلية من الخدم

http://coptic-treasures.com

تعمل لتطعمه وتلبى ندائه ، فيذهب ويجىء فى هذا الموكب اللامحدود ، فيثير أحقاد كل من يقابله . وقد يكون له سلطة فى الحكومة أو كرامات منحها له الملك الحالى ، أو حكومة المقاطعة أو الجيش ومناد يسبقه صارخاً لافساح الطريق ، هؤلاء موظفين على يمينه وشماله ، يخشون حكمه عليهم بالنفى والحبس والمصادرة وكل وسائل الإضطهاد التى تزيد عن إحتمال الناس ، وماذا اذن ؟؟ فى ليلة تخطفه حمى أو التهاب الرئتين من بين الرجال ، فتخلع عنه مظاهر جبروته، ويمضى مجده كحلم زائل ، لذا اعتبر النبى المجد البشرى أضعف من الزهور .

٣ ـ حتى وقتنا هذا يشهد الترتيب الذى يثمر به النبات ، إلى النظام الأول المرتب لها ، فكل عشب ونبات يخرج من بذره ، فاذ شابه النجيل الصغير والزعفران فهو يثمر عن طريق بذوره التى تبرز نتوء سفلى تفرخ وتنمو ، أما لو كان أصلها بذرة ، فهى بالضرورة تكون نبتاً أولاً ثم تخضر وأخيراً تثمر ثمراً ينضج فوق فرع جاف وسميك "لتنبت الأرض عشباً" .. عندما تسقط البذرة على الأرض التى تحتوى على الحرارة والرطوبة فى أتحاد ، فالبذرة تنتفخ بالمسام وتمسك بالأرض ، فتجذب كل ما يفيدها وكل ما له صلة بها . وجزئيات الأرض التى تبدو صغيرة تسقط فيها البذرة وتتطرق إلى مسامها ، فتنمو وتخرج بذرة إلى أسفل وأغصان إلى أعلى تتساوى فى عددها مع البذور . والنبتة دائماً تنمو دافئة ، لذا تتدفق الرطوبة فى الجذور ومعها الغذاء المستمد من التربة بفعل الحرارة الكامنة فيه ، فتجذب الغذاء من التربة وتوزعه على الساق واللحاء والقشر والذرة نفسها وما يكسوها ، ويكتسب كل نبات نموه الطبيعى بسبب تلك العمليات المتتالية كالقمح والخضروات والعشب والشجيرات . لذلك فإن نباتاً واحداً أو رقعة عشب صغيرة يكفى بأن يحتوى عليه فكرك اذا ما تأملت فى مهارة خالقه وقدرته . فلماذا كانت سنبلة القمح أفضل بعد ؟؟ أليست تمثل أحزمة تجعلها تتحمل ثقل الزهرة التى تنتفخ بالثمر وتميل نحو الأرض ؟ وإذ ليس للشوفان (الشعير) وزن لتحمله على قمتها فهى خلقت بدون العقد التى منحتها الطبيعة للقمح ، فهى تخبىء بذرتها فى كيس خوفاً عليها من سلب العصافير، وتكسوها بشوك يكون بمثابة أسهم تحميها من هجمات المخلوقات الدقيقة .

٤ ـ ماذا أقول إذن ، وماذا اتركه لا أقوله ؟ .. ففى كنوز الخليقة يصعب أن تختار الأكثر قيمة

http://coptic-treasures.com

فإن خسارة ما قد حذف هى أيضاً كبيرة وقاسية "لتنبت الأرض عشباً" .. وفى نفس اللحظة تنمو النباتات الضارة مع المفيدة ، القمح مع الشكران (نبات مخدر) ، ومع النباتات الغذائية نبات الأعشاب السامة ، والباذنجان مع عصير الخشخاش . ماذا اذن ؟ ألا يجب علينا أن نشكر الخالق على كل عطاياه الجزيلة بدلاً من أن نلومه على تلك التى تبدو ضارة لحياتنا ؟ .. ألا يجب علينا أن نقر أن كل ما خلق كان بهدف إشباع بطوننا ، فالنباتات التى تغذينا خلقت لإحتياجنا وهى فى أيدينا يعرفها العالم ، ولكن فى الحق لا يوجد أى شىء بلا هدف .. فهناك أشياء سامة .. ولكن أنت عاقل وتستطيع أن تحمى ذاتك من كل ما هو مميت . ماذا اذن؟ فالجدى والماعز يدركان كيف يحميان ذاتهما مما يهدد حياتهما ، اذ هما يشعران بغريزتيهما بقدوم الخطر . وأنت أيضاً يا من تملك العقل ومنه الطب ليوفر لك احتياجك ، كما أن لك الخبرة والتجربة التى تجنبك كل ما هو خطر ، فلا تقل أنه يصعب عليك أن تحمى ذاتك من السموم ، ولكن لم يخلق أى شىء بدون علة ولم يخلق أى شىء بلا فائدة ، فإذا كان بعضها يوجد لغذاء بعض الحيوانات ، فقد وجد الطب كعلاج لأمراضنا ، فيأكل طائر الزرزور نبات الشكران المخدر ، فتكوين ذلك الطائر لا يعرضه لتأثير السم ، فمسام قلبه الرقيقة تساعده على بلع العصارة بدلاً من هضمها فلا يؤذى السم أجزاءه الحيوية . كما يتغذى طائر السلوى على نبات الـ Hellebore فتحميه خلقته من آثار ذلك النبات الخطرة ، كما أن هناك بعض الأحوال يستفيد فيها الإنسان من السموم ، فبعض النباتات السامة يستخدمها الأطباء لتخديرنا وبالأفيون يسكنون آلامنا العنيفة ويستخدم النبات المخدر إلى الآن لتسكين الأمراض المستعصية . وكم من مرة يشفى نبات الـ "Hellevore" مرض طويل ومستعصى فتعطيك هذه النباتات فرصة لأن تشكر القدير بدلاً من أن تلومه عليها .

٥ ـ "لتنبت الأرض عشباً" .. أية عطية تلقائية تحويها تلك الكلمات ، تلك العطية الموجودة فى الجذر والنبات ذاته ، وفى ثمره كما تزيدها أعمال جهدنا وفلاحتنا . فلم يأمر الله الأرض على الفور أن تنبت البذرة والثمرة وإنما أمرها لتنبت عشباً لتخضر ويكون دليل نضجها هو البذرة ، كى يعلم الطبيعة بواسطة أمره الأول ما يجب عليها القيام به على مر الأزمنة ، والبعض يسأل هل حقاً تخرج الأرض بذراً كجنسه ، بينما بعد ذلك نبذر القمح فنحصد أحياناً

http://coptic-treasures.com

حبوباً سوداء ؟ الحقيقة أن هذا لا يعد تغييراً فى جنسه وإنما هو تبدل ، فهو مرض تصاب به الحبوب ، فهى ما زالت قمحاً ولكنها سوداء ، إذ هى احترقت، فلو أحرقها صقيع شديد لتغير لونها ومذاقها ، ويثبت هذا أنه لو وجدت الحنطة (القمح) أرضاً جيدة ومناخاً أكثر ملاءمة لعادت إلى تكوينها الأول ، لذا فإنك لا تجد شيئاً فى الطبيعة يناقض الأمر الإلهى . أما بالنسبة للزوان والحبوب الأخرى التى تختلط بالقمح وقت حصاده ، والزوان الذى ذكر فى الكتاب المقدس أيضاً فله أصله الخاص به وجنسه وهى بعيدة كل البعد عن أنواع القمح ، وفى الكتاب المقدس الزوان هو صورة هؤلاء الذين يعطون ظهورهم للكتاب بعدما أفسد الشيطان الكلمات المقدسة فى أذهانهم ، فيزجون بأنفسهم داخل جسد الكنيسة كى ينشروا أباطيلهم سراً بين النفوس النقية . لذا يقارن السيد الرب بين كمال الذين يؤمنون به وبين نمو البذرة فيقول "هكذا ملكوت الله كأن انساناً يلقى البذار على الأرض وينام ليلاً ونهاراً والزوان تطلع وتنمو وهو لا يعلم كيف ، لأن الأرض من ذاتها تأتى بثمر أولاً نباتاً ثم سنبلاً ثم قمحاً ملآن فى السنبل" (مر ٤ :٢٦ ـ ٢٨) .

"لتنبت الأرض عشباً" .. وفى لحظة (٤) بدأت الأمر طاعتها لقوانين الخالق عن طريق الإنبات وأكملت كل مراحل النمو وأتمت عملية الإنبات فتغطى الحدائق العشب الكثيف . واهتزت الرقعة الخصبة اذ امتلأت بالحصاد الكثير وشابهت حركة القمح أمواج البحر وخرج من الأرض كل نبات وعشب وشجيرة بكل رفاهيتها ولم يفشل أبداً النبات الأول بسبب عدم خبرة الفلاح مثلاً ، أو قساوة الطقس . لم يصب النبات شىء اذ لم ينزل حكم الدينونة بالأرض فيقيد خصوبتها . فقد سبق ذلك خطية آدم التى حكمت علينا أن نأكل بعدها بعرق جبيننا .

٦ ـ وأضاف الخالق "لتنبت الأرض شجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه بذرة فيه على الأرض" وانبتت الأرض كلها حسب ذلك الأمر ونما الشجر وخشب الشربين وشجر الأرز والسرو والصنوبر فبلغ غاية نموه وارتفاعه ، وتغطت الشجيرات الصغيرة بكساء أخضر ، ولكن لم توجد النباتات التاجية والزهور والريحان وشجر الغار . فى لحظة واحدة ظهرت كل تلك

(٤) يقول القديس باسيليوس بفكرة الخلق اللحظى أى عندما خرج القول الإلهى ، نفذت الطبيعة الأمر مثل إنبات الأرض ، وهناك كثير من الكتاب يؤمنون بهذا الفكر أيضاً .

http://coptic-treasures.com

الأنواع إلى الوجود ، كل منها بخواصه المميزه ، ميزتها الإختلافات العديدة بين بعضها البعض ، فلكل منها صفاته الخاصة . كانت الوردة بلا أشواك فأضيفت إليها الأشواك لتبرز جمالها لتجعلنا نشعر شدة قرب الحزن من السعادة ولتذكرنا بخطيتنا التى أدانت الأرض فحكمت عليها بإنتاج الأشواك ، ولكنهم يقولون أن الأرض تلقت أمراً لتثمر شجراً "لتنبت الأرض شجراً ذا ثمر بذره فيه على الأرض" بينما نرى شجراً كثيراً لا يعطى ثمراً أو بذراً فبماذا نرد عليهم ؟! ..

أولاً : إن ما ذكر هو أهم الأشجار فقط ، ونحن الآن بصدد اختبار دقيق يكشف لنا كيف إن كل شجرة لها بذر أو خاصية تحل محله ، فشجر الحور الأسود والصفصاف والدردار والحور الأبيض وكل ما هو من تلك العائلة من الأشجار لا تنتج أية ثمرة ظاهرة ، ولكن الملاحظ الذكى سيجد بذار فى كل منها ، فهذه الحبوب الموجودة فى أسفل الورقة لها خواص البذرة ، كما أن بعض الأشجار تتكاثر عن طريق أغصانها فتقذف بالجذور خارجاً . ولعلنا نذكر أيضاً الشتلة التى تخرج من جذور الشجرة ، إذ يقطعها المزارعون ليتكاثر النوع ، ولكن كما قلنا المسألة كانت بالأهم تخص الأشجار المفيدة لحياتنا ، فتعطينا ثمرها وتوفر لنا الغذاء الكثير . فالنبيذ الذى يسعد قلب الإنسان يصنع من العنب ، والزيت الذى يفيد وجه الإنسان يصنع من شجرة الزيتون ، فكم من أشياء فى الطبيعة تتحد فى ذات النبات !! ففى العنب تنتشر الجذور والأغصان الخضراء المرنة على وجه الأرض ومعها البراعم وخطافات النبات التى يتشبث بها وعناقيد العنب المر وأيضاً الناضج ، فإذا كنت قوى الملاحظة سيذكرك مشهد العنب بشىء من طبيعتك ، فبدون شك أنت تذكر المثل الذى قاله الرب عندما دعى ذاته الكرمة الحقيقية وأبيه الكرام ، ونحن المؤمنون الأغصان كما يدعونا أن نثمر بكثرة لئلا نقطع عنه ، إذ ثبت أننا عقيمون فنلقى فى نار جهنم (يو١٥ :١-٦) ، ودائماً ما يقارن أرواحنا بالكرم فهو يقول فى إشعياء "كان لحبيبى كرم على أكمة خصبة" (أش٥ :١) ، وكذلك يقول "كان إنسان رب بيت غرس كرماً واحاطه بسياج" (مت٢١ :٣٣) فمن الواضح أنه يدعو أرواح البشر كرمته ، فهى الأرواح التى أحاطها بسلطة فرائضه وحراسة ملائكته "حيث يعسكر ملاك الرب حول خائفيه وينجيهم" (مز٣٤ :٧) . وهكذا ترتفع عناقيد الكرمة عن الأرض ، ليرفع الله أذهاننا إلى هؤلاء الذين كان لهم

http://coptic-treasures.com

كل بركة فى الزمن الماضى فإنه لم يسمح لأجسادهم أن تهان أو تدوسها الأقدام على الأرض ، فهو أيضاً يطلب منا أن نتشابك معاً بالحب ، كما تتشابك أغصان الكروم ، وفى تطلعنا المستمر نحو السماء ، نحاكى الكرمة التى ترفع ذاتها إلى قمة أطول الأشجار ، وهو أيضاً يدعونا لأن نفحص ذواتنا وهذا هو ما يجب على الروح أن تقوم به عندما تتخلص من الإهتمامات العالمية التى ترقد ثقيلة فى قلوبنا . فمن يتخلص من اللذات الجسدية ومحبة المال فلا ينبهر بهما بل يحتقر مجد العالم الباطل هو قد ربح ذاته إذ هو يتنفس الآن بحرية من ثقل الأفكار الأرضية الزائلة ولا يجب علينا أن نضع خشباً كثيراً أى نحيا بالمظاهر ونكسب مديح العالم عملاً بمثل الكرمة ، إذ يجب علينا بالأحرى أن نثمر ثمراً تاركين نتيجة أفعالنا للكرام .

"فمثل زيتونة خضراء فى بيت الله" (مز٥٢ : ٨) لا تفقد أبداً رجاءك ولكن لتزين إيمانك بزهرة الخلاص ، تشبه إذن بالنبات فى خضرته الدائمة وتنافسه فى أثماره . إذ ترى فى كل يوم شفوقاً معطياً الصدقة الوفيرة .

٧ـ هلم بنا نعود إلى اختبار تدابير الخلق العظيمة ، كم شجرة إذن خرجت لتعطينا ثمراً وتسقف وتبنى سفننا وتوقد نيراننا !! فكم من إختلاف نجده فى تكوين أجزائها المختلفة ! وكم هو صعب أن نصل إلى الخاصية المميزة لكل منها لندرك الإختلافات التى تفرق بينها وبين سائر الأنواع . فبعضها تضرب جذور عميقة بينما الآخر يمد ساقه إلى أعلى وله غصن واحد ، وأخرى تبدو وكأنها تحب الأرض فتقف جذورها لأعلى وتنقسم إلى سيقان كثيرة . وترسل بعضها من أغصانها عالية فى الهواء وجذورها فى مساحات كبيرة فى الأرض ، تلعب لها دور الأساس لتحتمل ثقل الشجرة . وأية إختلافات نجدها فى اللحاء ، فلبعضها لحاد أملس ولبعضها الآخر لحاء خشن . لبعض منها طبقة لحاء واحدة وللبعض الآخر عدة طبقات . أى شيء ابدع من هذا !

فإنك تجد فى شباب وعمر النبات شبه كبير بشباب وعمر الإنسان . ففى شبابها يقوى لحاءها بينما يخشن ويتثنى فى كبر عمرها . أقطع واحدة منها وستعطيك براعم جديدة بينما تبقى الأخرى عقيمة وكأنها أصيبت بجرح اودى بحياتها . ولكنه لوحظ أنه إذا قطعت شجرة الصنوبر أو الأناناس أو تعرضت للنيران ، فهى تتحول إلى غابة من البلوط (السنديان ـ خشب القرو)

http://coptic-treasures.com

بالإضافة إلى ذلك ، ندرك أن صناعة الزراعيين الآن تعالج العيوب الطبيعية فى بعض الأشجار لذا فإنه لو ثقبت شجرة الرومان الحادة واللوز المرة بالقرب من جذورها ووضعنا سدادة غليظة من الصنوبر فى منتصف نخاعها ، فهى تفقد خاصية الحمض فى عصارتها ويصبح مذاقها شهياً . إذن يجب على الخاطىء ألا يفقد رجاؤه إذ هو فكر كيف يتم تغيير مكونات عصارات النباتات فى الزراعة فكم بالحرى ينتصر جهاد الروح نحو الفضيلة على سائر الضعفات .

وإن هناك العديد من أشجار الفاكهة تحمل أثماراً لدرجة تفوق كل تعبير . وهذا النوع لا يشمل ثمار الفاكهة فى الأشجار المختلفة العائلات فقط ، ولكنه يمتد إلى تلك التى تنتمى إلى نفس الأنواع . فلو كان حقاً ما يقوله البستانيون بأن جنس الشجرة يؤثر على صفات ثمرها ، فهم يميزون الذكر والأنثى فى النخل ، فأحياناً نرى ما يدعونه الأنثى تطأطىء أغصانها إلى أسفل فى رغبة المحب وتدعو الذكر إلى أحتضانها . والمعتنين بهذه النباتات يلاحظون ذلك فيهزون الذكر فيلقى بغبار التخصيب على الأنثى وهو ما يدعى psen فتبدو الشجرة وكأنها تشارك فى المتع الجسدية ، ثم ترفع أغصانها وتستمر تورق ورقها الأخضر . ونفس الشىء يحدث فى شجرة التين. البعض يزرعون التين البرى بجانب التين المزروع ، وآخرون يلصقون التين النىء (الفج) إلى الأغصان وذلك لعلاج الضعف الذى تصاب به أشجار التين فى حدائقنا ، إذ أن الشجرة تسترجع عملها فى الثمرة الفجة التى كانت قد اسقطتها أو فقدتها ، فأى درس هنا لنا تلقنه إيانا الطبيعة ؟ الدرس هو أننا يجب أن نستعير حتى من البعيدين عن الإيمان ، قوة تظهر بها الأعمال الحسنة . إذا نظرت خارج الكنيسة بين الملحدين أو إلى هرطقة مضرة ، فستجد مثالاً للقوة والإخلاص للقوانين الأخلاقية ، وستضاعف جهودك لتشبه شجرة التين المنتجة التى تكتسب القوة من الأخرى البرية التى تقف إلى جانبها ، فتمنع الثمرة من أن تلقى وتغذيها بعناية أكثر .

٨ـ وتتكاثر النباتات بطرق مختلفة وعديدة لدرجة أننا نستطيع أن نتلامس فى حديثنا عن أهمها فقط . فبالنسبة إلى الثمار ، فمن منا يستطيع أن يذكر أصنافها المتنوعة فى أشكالها وألوانها ومذاقها الخاص وفائدة كل منها ؟ ولماذا ينضج بعضها عندما يتعرض لأشعة الشمس بينما الأخرى تحيط ذاتها بغطاء؟ عندما يكون ثمر الشجرة لنا كشجرة التين مثلاً فإن الشجرة تظلل

http://coptic-treasures.com

على الثمرة بأوراق كثيفة . بينما تلك التى تغلظ ثمرتها كالبندق فهى تتغطى بأرق الأوراق . فرقة الأولى تتطلب بعض العناية وكثافة غطاء الأخيرة تجعل غطاء الأوراق الثقيل يؤذيها . ولماذا خلقت ورقة العنب مشرشرة إلا لأن عناقيد العنب تستطيع فى ذات الوقت أن تقاوم أية إصابات يسببها لها الهواء وتستقبل كل أشعة الشمس من خلال تلك الفتحات ؟ ... لم يخلق الله شيء بدون سبب أو بمحض الصدفة فكل الخليقة تظهر حكمة الله الغير محدودة .

أى حديث يستطيع أن يشملها جميعاً ؟ هل يستطيع العقل البشرى أن يقوم بملاحظة شاملة ودقيقة فيسجل كل خاصية مميزة ، ويعرض كل الإختلافات ، ويكشف مؤكداً عن الأسباب الكثيرة والغامضة ؟ فإن المياه نفسها هى التى تتدفق فى الجذور تغذى النبات ، وبطريقة مختلفة تغذى الساق ثم الخشب والنخاع ، ومنها الورق وتوزع نفسها بين الأغصان فتجعل الثمار تنتفخ فتعطى للنبات صمغها وعصارتها . فمن يستطيع أن يفسر لنا الفرق بين كل هؤلاء ؟ فهناك فرقاً بين الصمغ والمصطكا وعصارة البلسم ، وفرقاً بين ذلك الذى يقطر فى مصر والآخر الذى فى ليبيا من الشجر . وهم يقولون أن الكهرمان هو عصارة النبات المتبلورة . كدليل لذلك ، انظر إلى قطع القش الصغيرة والحشرات الدقيقة التى تسقط فى العصارة حينما كانت سائلاً وظلت قطع القش والحشرات حبيسة فيها .

ولا يستطيع أحد أن يفسر المعجزة الكامنة فيها ما لم تكن خبرته طويلة . فكيف تتحول المياه إلى نبيذ فى الكروم وزيتاً فى الزيتون ؟ وما هو عجيب ، ليس فقط فى أنها تصبح عذبة فى بعض الأثمار وسميكة فى أخرى ، بل هى تتنوع فى مذاقها فى الثمار العذبة ذاتها . فهناك حلاوة فى الكروم وأخرى فى التفاح ، أو التين أو البلح . وسأعطيك أن تكمل ذلك البحث عنى . فكيف لتلك المياه أن يكون لها مذاقاً عذباً لينا إذ هى بقيت فى بعض النباتات ، وفى أخرى تتحول لأن تكون حمضية ؟ وكيف تكتسب تلك المرارة الشديدة لدرجة تؤلم بالفم فى الأفسنتين وال scammony السقمونيا [٥] ، ولها مذاقاً حاداً فى ثمرة البلوط وال dogwood القرانيا [٦]

---

(٥) القمونيا هو لبلاب يستخرج من جذوره صمغ راتنجى مسهل .

(٦) القرانيا هى شجرة من الفصيلة القرنية .

http://coptic-treasures.com

ويتحول إلى صفة الليونة والزيتية فى التربنتينة وثمر الجوز ..

٩ـ وما الضرورة لأن نستمر ؟ ففى شجرة التين الواحدة لدينا أكثر أنواع المذاق تناقضاً فهى مرة فى العصارة وعذبة فى الثمرة ؟ وفى الكرمة أليست عذبة فى العنب وقابضة فى الأغصان ؟ وتتنوع فى الألوان أيضاً . ففى المرج نجد المياه ذاتها تصبح حمراء فى زهرة وبنفسجية فى أخرى وزرقاء وبيضاء وهكذا . وهل يقارن تنوع الألوان بمختلف عطرها ؟ ولكنى أشعر وكأن فضولى قد قادنى حديثى بعيداً عن حدوده ، فإذا ما توقفت وارجعته إلى قانون الخلق ، فلن أستطيع أبداً التوقف لأن تدركوا معى الحكمة العظيمة التى خلقت تلك الأشياء الصغيرة "لتنبت الأرض شجراً ذا ثمر يعمل ثمراً" ... وفى الحال تغطت قمم الجبال بالمساحات الخضراء وبفن تكونت الجنات وزينت النباتات ضفاف الأنهار واستخدمها الإنسان لتزيين موائده ، وتتغذى الحيوانات على ثمرها وورقها ، وأخرى تمدنا بالمعونة الطبية إذ تعطينا عصارتها وعصيرها وشرائحها ولحائها وثمرتها . وقد اكتسبت تجربة الأجيال المختلفة نجاحاً فى كل فرصة لها أدركت فيها أنه ما من شىء خلق إلا وقد أدرك الخالق القدير فائدته من اللحظة الأولى فدعاه للوجود . إذن عندما تنظر إلى الأشجار فى الحدائق أو الغابات تلك التى تحب المياه أو الأرض ، وتلك التى تزهر وأخرى لا تزهر ، أود أن أراك تعترف بعظمة الخالق حتى فى أصغر الأشياء فتضاعف من إعجابك وحبك للخالق القدير .

أسأل ذاتك لماذا صارت بعض الأشجار دائمة الخضرة وأخرى تلقى بأوراقها سنوياً ؟ .. وضمن النوع الأول لماذا جعل بعضها يفقد أوراقه وبعضها الآخر يحتفظ بها ؟ فالزيتون والأناناس تلقى بأوراقها لتجده باستمرار فلا تبدو أبداً وكأنها حرمت لونها الأخضر . أما النخلة فهى تتزين منذ ميلادها إلى موتها بذات الورق . وفكر فى الحياة المزدوجة التى يعيشها الأثل (نبات الطرفاء) ، فبالرغم من أنه نبات مائى نجده يغطى الصحراء لذا يقارنه أرمياء النبى بأسوأ أنواع الشخصيات ـ الشخصية المزدوجة ـ ويكون مثل العرعر فى البادية ولا يرى إذا جاء الخير بل يسكن الحرة فى البرية أرضاً سبخة وغير مسكونة (أر١٧: ٦) .

١٠ـ لتنبت الأرض .. فأتى هذا الأمر الموجز بالطبيعة الشاسعة والنظام الدقيق فى لحظة

http://coptic-treasures.com

واحدة ، وبأسرع من سرعة الفكر نتج عنه الصفات التى لاحصر لها ولا عدد للنباتات . وهذا الأمر ذاته ، مازال لليوم يفرض على الأرض فتأتى كل سنة بالأعشاب والبذور والأشجار فترى قوته وكالقمم التى تستمر فى تطورها بعد الدفعة الأولى فتتحول لتدور حول ذاتها إذ ثبت مركزها. لذا فإن الطبيعة إذ هى تلقت الأمر الإلهى الأول ، تستمر بغير توقف عبر الأزمنة وحتى انقضاء الدهر . لذا هلم بنا نسرع إذ لدينا الوقت لأن نثمر ونمتلىء بصالح الأعمال ، فنكون أغصان مثمرة فى بيت الله (مز٩٢: ١٣) ، فننجح يوم دينونة إلهنا باسم ربنا يسوع المسيح الذى له المجد والقدرة إلى أبد الآباد آمين .

http://coptic-treasures.com

خلق الأجسام المضيئة

١ ـ فى عروض السيرك لابد أن يساهم المتفرج فى مجهودات اللاعبين . وهذا يوضحه قوانين العروض لأنهم جميعاً ينصحون بأن الجميع يجب أن تكون رؤوسهم غير مغطاة عندما يكونون بالمدرج . الهدف من هذا ، فى رأيى أن كل واحد هناك يجب ألا يكون متفرج على اللاعبين فقط ، بل أن يكون هو نفسه بقدر المستطاع لاعباً حقيقياً معهم أيضاً .

هكذا للتحقق من المشهد العظيم والهائل للخليقة ولهم الحكمة السامية والتى لا ينطق بها ، لابد أن تأتوا بالنور الداخلى للتأمل فى العجائب التى أوضحها أمام أعينكم ، وساعدونى وفقاً لقوتكم فى هذا الجهاد ، حيث أنكم لستم قضاة ... خوفاً من أن تهرب منكم الحقيقة وأن يتحول خطأى إلى اعتياد تحاملكم (prejudice) لماذا الكلمات ؟ ذلك لأننا نود أن ندرس العالم ككل وأن نفكر فى الكون ليس من خلال الحكمة البشرية ، ولكن من خلال إرادة الله الذى ينير لخادمه عندما يتكلم معه شخصياً وبدون ألغاز وذلك لأنه من الضرورة المطلقة أن جميع محبى العروض العظيمة والضخمة يجب أن يأتوا بعقل مستعد لدراستهم إياها . لذا فى بعض الوقت أثناء التأمل بعيون يقظة فى جمال النجوم الذى لا يوصف تفكر فى خالق كل هذه الأشياء . إذا سألت نفسك من الذى جعل السماء منقطة بهذه الأزهار ، ولماذا الأشياء المرئية تكون أكثر إفادة مع كونها جميلة ... فإنك أحياناً فى النهار تدرس عجائب الضوء ، إذا رفعت نفسك بالأشياء المرئية إلى الوجود الغير مرئى ، إذا فعلت هذا تكون متفرج على استعداد جيد ويمكنك حينئذ أن تأخذ مكانك فى هذا المدرج المهيب والمبارك . وكما أن أى شخص لا يعرف مدينة ما يؤخذ من يده ويقاد بداخلها أريدك أن تأتى أنت بنفس الطريقة ، وسأقودك أنا مثل الغرباء داخل العجائب

http://coptic-treasures.com

الغامضة لهذه المدينة الكبيرة من الكون .

وطننا الأول كان فى هذه المدينة العظيمة عندما قاتل الشيطان الإنسان وأغراه بالعبودية التي تسببت فى طردنا . فى هذه المدينة سترى الأصل الأول للإنسان واختطافه الفورى بالموت بالخطيئة، سترى الولادة الأولى لروح الشر ، وستعرف أنك كونت من الأرض ، ولكن كعمل يدى الله ستعرف أنك أضعف من البهيمة ، ولكن قد عينك (الله) للساطان على الكائنات التى بلا روح أو عقل ، حقير فى ما يتعلق بتطورات الطبيعة ، ولكن شكراً للقدرة العجيبة أنك قادر على رفع نفسك للسماء .

إذا عرفنا هذه الحقائق سنعرف أنفسنا ، وسنعرف الله ، وسنعبد خالقنا ونخدم سيدنا ، سنمجد أبانا ، سنحب الذى يبقينا ، سنبارك الذى يمنحنا الهبات ، وسوف لا نتوقف عن أن نبجل ملك الحياة الحاضرة والآتية ، الذى بالغنى الذى يغدقه علينا فى هذا العالم يجعلنا نؤمن بوعوده ومنفعة الأشياء الجيدة والحاضرة ليقوى توقعاتنا فى المستقبل . وبالحقيقة ، إذا كانت كل هذه الأشياء الجيدة لحاضرنا فكم بالحرى للأبدية ؟! وإذا كان هذا هو جمال الأشياء المرئية فكم ستكون غير المرئية ؟ إذا كانت عظمة السماء تفوق مقياس الذكاء البشرى ، فأى عقل يستطيع أن يتابع طبيعة الأبدية ؟ .. إذا كانت الشمس وهى قابلة للفساد جميلة جداً وعظيمة وسريعة فى حركتها وثابتة فى سيرها وجلالها فى توافق تام وتناسب أكيد مع الكون وهى بجمال طبيعتها تلمع مثل العين اللامعة فى وسط الخليقة ، والإنسان لا يمل من تأملها ، فماذا إذن سيكون جمال شمس البر ؟ وإذا كان الرجل الضرير يعانى الآلام من عدم رؤية الشمس المادية فكم يكون مقدار الحرمان للخاطىء الذى لا يتمتع بالنور الحقيقى !!

٢ـ وقال الله لتكن أنوار فى جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين وتكون أنواراً فى جلد السماء لتنير على الأرض (تك١ :١٤ـ١٥) .

خلقت السماء والأرض أولاً ، ثم بعد ذلك خلق النور ، وتم الفصل بين النهار والليل ، ثم ظهر الجلد واليابسة . وتجمع الماء فى المكان المخصص له ، وعرضت الأرض منتجاتها ، ونشأ عن ذلك كثير من الأعشاب وقد تزينت الأرض بجميع أنواع النباتات ، ولكن الشمس والقمر لم

http://coptic-treasures.com

يكونا قد خلقا بعد حتى لا يظن الجهلاء أن الشمس هى مصدر وبداية النور ، أو أنه بسببها كان النمو على وجه الأرض ... لأجل ذلك كان هناك يوم رابع ، وبعد ذلك قال الله «لتكن أنوار فى جلد السماء» . إذا عرفت من المتكلم فكر فى الحال فى المستمع ... قال الله "لتكن أنوار فى جلد السماء ... فعمل الله النورين العظيمين" ... من الذى تكلم ؟ ومن الذى صنع ؟ ألا ترى هناك شخص مزدوج ؟ فى كل مكان تجد غموض اللغة والتاريخ مبنى على المبدأ اللاهوتى .

التتابع الحركى the montive follows تسبب فى خلقة النور ، وكان لينير الأرض ، كان الضوء قد تمت خلقته ، لماذا إذن يقال أن الشمس خُلقت لتعطى ضوءاً ؟ قبل كل شىء ، لا تضحك من غرابة التعبير نحن لا نتتبع الدقة فى الكلمات ، وإن كنا نتعب أنفسنا قليلاً ، لكن لكى نقدم للآخرين شكل متناسق . إن كُتابنا لم يشغلوا أنفسهم إلا بأن يضيئوا أيامهم ، وفى كل مكان نحن نفضل وضوح الكلمات عن التعبيرات الصوتية . انظر إذن إذا كان الكتاب المقدس بلفظة "لتنير" جعل المعنى مفهوماً لقد وضع كلمة "لتنير" بدلاً من كلمة تعطى ضوءاً ، وليس هنا ما يعارض ما قد قيل عن الضوء . إذن الطبيعة الفعالة للضوء قد تم إنتاجها : الآن جسم الشمس قد تم إنشاؤه ليكون ناقلاً للضوء الأصلى . اللمبة ليست نار ، النار لها صفة الإنارة ، وقد اخترعنا اللمبة لتنير لنا فى الظلام . بنفس الطريقة الأجسام الطاهرة luminous قد صارت حاملة للضوء النقى والواضح وغير المادى . إن الرسول يحدثنا عن النور الذى يضىء فى العالم دون أن يتعارض وجوده مع النور الحقيقى الذى للعالم ، هذا النور الذى اقتناه القديسون ليضيئوا للنفوس التى ارشدوها وأتوا بها من ظلام الجهل . وهكذا عمل خالق كل الأشياء الشمس إضافة إلى نور المجد وجعلها تنير فى السماء .

٣ـ لا تدع إنساناً يعتقد أنه من المستحيل أن يصير إشراق الضوء شىء ، والجسم الذى يحمله شىء آخر ، أولاً وقبل كل شىء ، فى الأشياء المركبة نحن نفصل الجوهر القابل للتشكيل عن الشكل الذى يستقبل هذا التشكيل ، طبيعة البياض شىء ، والجسم الذى أخذ لون البياض شىء آخر ، وهكذا تختلف الطبائع بعد اتحادها بقوة الخالق كما نرى ، ونحن لا نستطيع تفرقتهم . ورغم اننى لا اتظاهر بالقدرة على تفريق الضوء عن جسم الشمس ، ولكننى أؤكد أن الذى

http://coptic-treasures.com

يمكن أن نفرقه بالفكر يمكن أيضاً تفرقته فى الحقيقة بواسطة خالق الطبيعة . أكثر من هذا ، انك لا تقدر أن تفرق ضوء النار عن خاصية الاشتعال ، ولكن الله الذى أراد أن يجذب خادمه بمشهد رائع ، أعد النار فى العليقة المشتعلة ، التى اظهرت كل تألق اللهب بينما كانت ذاتها الملتهبة ساكنة تماماً . لهذا قال النبى فى المزمور مؤكداً "صوت الرب يفرق لهيب النار" (مز٢٩ :٧) وهذا ما سيحدث فى يوم الدينونة الذى سيكون بعد الحياة ، فهناك صوت غامض يقول إن الطبيعة المزدوجة للنار سوف تنقسم ، البار سيتمتع بضوئها ، أما عذاب حرارتها ستكون للشرير .

فى دورات القمر نجد بعض الأدلة على ما قدمنا . فعندما يصير القمر صغيراً فهو لا يلتهم نفسه بداخل كل جسمه ، ولكن فى الجزء الذى لا يظهر أو يختفى الضوء الذى يحاوطه فهو يعرض لنا صورة لنقصه أو زيادته . إن كنا نريد دليل قوى على أن القمر لا يلتهم جسمه عندما يكون مظلماً ، فقط علينا أن نفتح أعيننا فإذا نظرت إليه فى ماء صافية بدون سحابة ، ستلاحظ عندما يأخذ شكل الهلال الكامل ، إن الجزء الذى يكون مظلماً وغير مضىء يظهر دائرة تساوى التى قد شكلها القمر الكامل ، فالعين يمكنها أن ترى الدائرة الكاملة ، إذا أضفت إلى الجزء المضىء القوس المظلم غير المرئى بوضوح . ولا تقل لى أن ضوء القمر يتناقص أو يتزايد بمعدل اقترابه أو بعده من الشمس ، هذا ليس موضوع بحثنا الآن . فقط نريد أن نثبت أن الجسم يختلف عن الضوء الذى يجعله يلمع . اتمنى أن تكون لديك نفس الفكرة عن الشمس ، ماعدا فقط أن هناك جسم يستقبل الضوء وبعد أن يخلطه بمادته لا يحتفظ به . فى حين أن جسم آخر (الشمس) يستنفذ الضوء ثم يزود نفسه به مرة أخرى .

هكذا نال الشمس والقمر أمراً إلهياً بتقسيم الليل والنهار . لقد فرق الله بين النور والظلام ثم وضع طبيعتهما ضد بعضهما البعض حتى لا يختلطوا وحتى لا يكون هناك شىء على الإطلاق مشتركاً بينهما . انك ترى الظلال خلال النهار ، أنه بالضبط طبيعة الظلام خلال الليل . عند ظهور النور يكون الظلال دائماً على الجانب المعاكس ، ففى الصباح يمتد تجاه الغرب ، وفى المساء يميل نحو الشرق ، وفى منتصف النهار نحو الشمال ، والليل يزحف على الأقاليم التى فى الإتجاه المعاكس لشعاع الشمس ، إن الظلال يأتى نتيجة جسم يتقابل مع الضوء ، والليل يأتى

http://coptic-treasures.com

طبيعياً حينما تكون نصف الأرض فى الظل . وهذا ما يقوله الكتاب المقدس بدقة «وفصل الله بين النور والظلمة» ، وهكذا يهرب الظلام عند اقتراب النور ، فالأثنين عند خلقتهما أولاً انقسما بتعارض طبيعى .

الآن أمر الله الشمس أن تحكم النهار ، والقمر لحكم الليل وهو فى محوره . لأن هذين النورين يكادا أن يكونا فى مقابل بعضهما البعض تماماً ، عندما تشرق الشمس يختفى القمر بكامله من الأفق ، ليظهر فى الشرق فى الوقت الذى تغرب فيه الشمس . ولا يهم كثيراً فى موضوعنا أن من جهة أخرى ضوء القمر لا يتم إرساله تماماً إلا فى الليل . وفى الحقيقة أنه عند إكتمال القمر ، يجعل ضوء النجوم باهتاً ويضىء الأرض بروعة ضوءه ، أنه يحكم الليل ، وبانسجام مع الشمس يقسم اليوم إلى أقسام متساوية .

٤ـ "وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين" .. إن العلامات التى يقدمها لنا النورين تكون ضرورية للحياة ، وفى الواقع إن الخبرة الطويلة ستجعلنا نكتشف الملاحظات المفيدة، إذا سألنا بدون فضول .. ما هى علامات المطر والجفاف وصعود الريح ، جزئياً أم بصفة عامة وعنيف أو معتدل ؟! الله يوضح لنا واحدة من العلامات التى تعطيها الشمس عندما يقول "وفى الصباح اليوم شتاء لأن السماء محمرة بعبوسة" (مت ١٦: ٣) ، فى الواقع عند شروق الشمس خلال الضباب ، تظلم أشعتها ولكن قرصها يظهر مشتعلاً مثل الفحم فى لون أحمر دموى ، إن كثافة الهواء هى السبب فى ظهور الشمس بهذا الشكل ، فإن أشعة الشمس لا تبدد مثل هذا الهواء الكثيف والمكدس ، فبكل تأكيد لا يمكن أن تحتجز أمواج البخار التى تنبعث من الأرض ، لأن غزارة الرطوبة المكدسة والمتراكمة فوق بلد ما سوف تتسبب فى عاصفة بنفس الطريقة ، عندما يكون القمر محاطاً بالندى ، أو عندما تكون الشمس محاطة بما يسمى الهالة ، يكون هذا علامة أمطار كثيفة أو عاصفة عنيفة ، وبنفس الشكل لو أن الشموس الزائفة رافقت الشمس فى مدارها فإن هذا ينبىء بظاهرة سماوية معينة . أخيراً هذه الخطوط المستقيمة مثل ألوان قوس قزح ـ تلك التى نراها على السحب ـ تعلن عن سقوط المطر ، أو عاصفة غير عادية ، أو بإختصار تغيير كامل فى الجو .

الذين وهبوا أنفسهم لملاحظة هذه الأجسام يجدون علامات فى الأوجه المختلفة للقمر ، كأن

http://coptic-treasures.com

الهواء الذى يغلف الأرض هو ملتزم بأن يتغير كى يتوافق مع التغيير الحادث مع الخليقة كلها . انظر مثلاً اليوم الثالث للقمر الجديد ، إذا كان حاداً وواضحاً ، فهذه علامة جو ثابت جيد ، ولو ظهرت طرفى هلاله كثيفة محمرة فهى تهددنا إما بأمطار ثقيلة أو بعاصفة من الجنوب ، من ذا الذى لا يعرف مقدار الإستفادة من هذه العلامات فى الحياة ؟! ... بفضلهم ، يحتفظ البحار بمركبته فى الميناء لأنه يتنبأ بالخطر المحدق به من قبل الرياح . والمسافر يحتمى من الأذى فى مأوى انتظاراً إلى أن يصبح الجو أكثر اعتدالاً . وبفضلهم أيضاً يستطيع المزارعين المشتغلين بزراعة الحبوب أو بحراثة الأرض ، أن يعرفوا أى فصول تكون مناسبة لأعمالهم . وأكثر من هذا ، إن السيد المسيح قد أعلن لنا عند انقضاء الكون علامات سوف تظهر فى الشمس والقمر والنجوم حيث تتحول الشمس إلى دم والقمر لا يعطى ضوءاً[٧] ، وهذه علامات انتهاء كل الأشياء .

٥ـ هؤلاء الذين يتجاوزون الحدود ويجعلون كلمات الكتاب المقدس عذرهم متفننين فى صب ميلاد إنسان فى قالب معين ، متظاهرين بأن حياتنا تعتمد على حركة الأجسام السماوية ، وأن المنجمين قد قرأوا فى الكواكب ما الذى سيحدث لنا . وفهموا تلك الكلمات البسيطة "وتكون لعلامات" ، ليس على أنها تعنى التغيير فى الجو أو فى الفصول ، وإنما تعنى توزيع المصائر البشرية حسب رغبة خيالهم .

ماذا يقولون فى الحقيقة ، عندما تعبر الكواكب فى علامات دائرة البروج ، وتعطى أشكالاً معينة عند اجتماعها ، فتلد مصائراً بينما الآخرون يقدمون مصائراً مختلفة . ربما لأجل التوضيح ينبغى أن ندخل فى التفاصيل أكثر فى هذا العلم الواهى . سوف لا أقول شيئاً من نفسى لأجل دحضهم ، ولكن سأستخدم كلماتهم ، محضراً الدواء للمصاب وللآخرين ، حفاظاً عليهم من السقوط .

مخترعى علم التنجيم يرون مع طول الوقت أن هناك علامات كثيرة هربت منهم . مقسمين إياها ، مغلقين كل جزء فى حدود ضيقة كأنه فى مدة صغيرة جداً قائلين مع الرسول فى لحظة فى طرفة عين (١كو١٥: ٥٢) ، يجب أن يوجد فرقاً عظيماً بين ميلاد وآخر . على سبيل المثال

---

(٧) راجع يوئيل ٢: ٣١ ومتى ٢٤: ٢٩

http://coptic-treasures.com

الذى يولد فى هذه اللحظة سوف يصير أميراً على عدة مدن وسوف يحكم الناس فى ملء القوة والغنى . وآخر يولد فى اللحظة التالية سوف يكون فقيراً وحقيراً وسوف يجول يومياً من باب إلى آخر يطلب خبزه . وبالتتابع ، هم يقسمون دائرة البروج إلى اثنى عشر قسماً ، وبما أن الشمس تعبر كل قسم من هذه الأقسام كل ثلاثين يوماً لهذه الدائرة المحكمة ، فقاموا بتقسيم كل قسم إلى ثلاثين قسم آخرين ، كل واحدة منهم تشكل ستين قسماً جديدة ، وكل قسم من هذه الزخيرة مقسمة إلى ستين . دعنا نرى إذن فى تحديد ميلاد الطفل إذا كان بالإمكان ملاحظة هذا التقسيم الدقيق للوقت . الطفل يولد ، الممرضة تبين نوعه ، ثم تنتظر بكاءه علامة أنه حى ، حتى الآن كم من اللحظات قد مرت حسب اعتقادك ؟ ثم تخبر الممرضة المنجم بميلاد الطفل ، كم من الدقائق تمر قبل أن تفتح الممرضة فمها لتتكلم ، ولا سيما إذا كان الذى ينتظر ليسجل الوقت فى مكان آخر خارج حجرات السيدات . ونحن نعرف أن الذى يسجل الوقت يجب أن يسجل الساعة بأقصى دقة ممكنة سواء بالنهار أو بالليل . كم من الثوانى الغير معدودة تمر خلال هذا الوقت لأن الكوكب الخاص بهذا الميلاد يجب أن يعرف ، ليس فقط فى واحد من الاثنى عشر قسماً فى دائرة البروج ، أو فى واحد من الستين قسماً فى أى قسم من الأثنى عشر ، بل فى الستين قسماً من الستين قسماً الأخيرة . ولكى نحصل على معرفة مثل هذه الدقيقة سيكون من المستحيل أن نعرف بالضبط فى هذه اللحظة كل كوكب ووضعه حسب علامات البروج ، والأشكال التى تشكل بها الكوكب فى لحظة ميلاد الطفل . ولو كان من المستحيل أن تعرف وقت الميلاد بالضبط فهكذا أقل تغيير سوف يقلب المواضيع رأساً على عقب وتكون الحسرة عند كثيرين . فإن هؤلاء الذين اعطوا أنفسهم الحق فى هذا العلم الخيالى والذين يسمعون لهم بأفواه فاغرة كأنهم يقدرون أن يعرفوا منهم المستقبل يكونوا سخفاء للغاية .

٦ـ ولكن ما النتائج التى تظهر ؟ الذى سيكون شعره مجعد ، وعيونه متألقة لأنه قد ولد تحت برج الحمل ، وهذا هو مظهر الحمل ، وسيكون لديه مشاعر نبيلة ، ولأن الحمل مولود ليأمر سوف يكون متحرراً ومثمراً فى موارده لأن هذا الحيوان يتخلص من الصوف بدون مشكلة ، والطبيعة فوراً تسرع فى تغطيته . آخر يولد تحت الثور سوف يتمرس على المصاعب وتكون له شخصية

http://coptic-treasures.com

العبيد وصفاتهم لأن الثور ينحنى أمام الغير . وآخر يولد فى برج العقرب كالحية السامة العاتية . أما الذى ولد فى برج الميزان فهو عادل لعدالة الميزان . أليس ذلك هو قمة الطيش ؟ إذن إن هذا الحمل حيث هو أصل للإنسان يمثل الجزء الثانى عشر للسماء وبالدخول فيه تبلغ الشمس ذروتها ، والميزان والثور أيضاً هما الجزء الثانى عشر فى دائرة البروج . فكيف ترى فيها الأسباب الأساسية التى تؤثر على حياة الإنسان . ولماذا تأخذ الحيوان مثلاً لتصف به سلوكيات إنسان آتى إلى الوجود ؟ فمن يولد تحت الحمل حر ، لا لأن ذلك الجزء من السماء يخصه بذلك وإنما هى طبيعة الحيوان . إذن لماذا نخيف انفسنا بأسماء النجوم ونقع أنفسنا بكلامها الأحمق الشائك ؟ فلو كانت السماء تستمد صفاتها من تلك الحيوانات فهى إذن معرضة لأى مؤثر خارجى لأنها تعتمد على الحيوان الذى يرعى فى مزارعنا ، وهو لتأكيد يدعو للسخرية ، بل أنه لأكثر سخرية أن نربط بين أشياء لا تربطها علاقة البتة وندعى أنها تؤثر بعضها على الآخر ، فهذا الذى يدعونه علما أشبه بنسيج العنكبوت ، متى سقطت فيه ذبابة أو بعوضة أو أية حشرة ضعيفة تصاد ولكن لو اقترب حيوان قوى منه فهو ببساطة شديدة يمر ويحمل معه النسيج الرقيق .

٧ـ ولا يقف بهم الحال عند هذا الحد ، فهم يعتقدون أنه حتى أعمالنا التى تحكمها إرادتنا سواء للخير أو للشر ، تتأثر بتلك الأجسام السماوية . وهو حقاً لشىء يدعو إلى السخرية أن نجهد ذواتنا لتفنيد مثل ذلك الخطأ ولكن مما لا شك فيه أنه يحتوى بداخله أشياء كثيرة يجب أن نقف عندها . وأريد أن أسألهم هل ما تعطيه النجوم من أشكال لا يتغير ألف مرة فى اليوم . ففى حركة الكواكب الدائمة يتقابل بعضها فى اتجاهها السريع وأخرى تتحرك ببطء ، وفى ساعة واحدة نجدها تنظر لبعضها البعض ثم تعود فتخفى نفسها . وفى ساعة الميلاد ، تنظر إلى المولود نجمة خيرة أو شريرة وهى إذن تحدد مصيره ! .. وغالباً لا يلحق المنجمون الدقيقة التى تظهر فيها النجمة الصالحة ، فيضعون المولود فى ظنهم تحت تأثير الأخرى الشريرة . وأنا مجبر أن استخدم كلماتهم ... أى مجنون هذا ، وأى فكر عقيم ؟؟!! فالنجوم الشريرة تلقى بسبب شرها على الذى خلقها فلو أن الشر كامن فى طبيعتها فالخالق إذن هو سببه . ولو هى تصف ذاتها بالشر فهى إذن كائنات مُنحت حق الإختيار فسلوكها حر واختيارى . أليس ذلك قمة الغباء أن نقول هذا

http://coptic-treasures.com

الكلام على كائنات لا روح لها ؟ وأى نقص فى العقل هذا الذى يوزع الشر والخير بلا أى اعتبار لحقوق البشر ، أن نقول أن تلك نجمة صالحة لأنها تشغل مكان معين والأخرى شريرة لأن نجمة أخرى تنظر إليها وهى إذا تحركت قليلاً من المسببة شرها ، تفقد تأثير الشر ؟!

هلم بنا نستمر ، لو فى كل لحظة غيرت النجوم أشكالها فهى إذن فى الألف تغير الذى تقوم به فى يوم واحد تنتج مواليد ملكية . ولماذا إذن لا نرى فى كل يوم مولد ملك ؟ ولماذا يخلف الإبن أباه على العرش ؟ فبلا شك لم يسع ملك أن يجعل ابنه يولد تحت النجمة الملكية . ولأى إنسان تكون تلك القدرة ؟ وكيف أتى عزيا بيوثام ويوثام بآحاز وآحاز بحذقيا ؟ وكيف حدث أنه لم يولد أحدهم فى ساعة سخرة ؟ لو أن أصل فضائلنا وشرورنا لا يكمن فى داخلنا وإنما هو قدرنا الناتج عن ميلادنا ، لماذا إذن حدد لنا المشرعون ما يجب علينا أن نقوم به وما يجب تجنبه ؟ وما الفائدة أن يكرم القضاة الفضيلة ويعاقبون الرذيلة . الذنب ليس فى السارق أو القاتل إنما كتب عليه واستحال عليه أن يتراجع فقد دفع للشر بضرورة حتمية ، ومن يهتم بالفنون هم أكثر الناس جنوناً ، فالعامل يجنى محصولاً وفيراً بدون أن يبذر أو يستخدم منجله ، وسواء أراد أو لم يرد فالقدر سيغدق على التاجر ثرائه وثروته التى تصنع رغماً عنه . ونحن المسيحيون ، لن يكون لنا أمل ، فالإنسان مُسير ولا يتصرف بحرية فهو لا يكافأ لعدله أو يعاقب على شره .

فبالضرورة وتبعاً للقدر ليس هناك مكاناً للدينونة العادلة . دعنا نقف عند هذا الحد ، فأنتم العقلاء لا تحتاجون لأن ألقى إليكم بأكثر من ذلك كما أن الوقت لا يسعنى لأستمر فى هجماتى ضد هؤلاء التعساء .

٨ـ هلم بنا نعود إلى كلمات الكتاب المقدس "وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين" (تك١ :١٤) لقد تكلمنا عن الآيات ونحن ندرك أن تتابع الأوقات الشتاء والربيع والصيف والخريف فى نظامها يرجع إلى نظام حركة الأنوار فى السماء ، فيكون شتاء متى تحولت الشمس فى الجنوب فيطول الليل فى اقليمنا ، وينتشر الهواء البارد على سطح الأرض وترتفع الرطوبة لتأتى بالأمطار والصقيع والثلج . وتعود الشمس من الجنوب لتتوسط السماء وتقسم الليل والنهار بالتساوى وإذ هى تتجول كثيراً فوق الأرض تحسن درجة الحرارة . ويأتى الربيع من بعده وتخضر

http://coptic-treasures.com

النباتات ويعطى الشجر حياة جديدة ويجدد الأرض ويعطى الحيوانات حياة . وفى الصيف تتجه الشمس شمالاً فتطول أيامنا وكلما توجهت إلى عمق الهواء فهى تحرقه وتجفف الأرض فتنضج البذور والفاكهة ، وفى ذروة حرارتها يقصر الظل الذى تسببه الشمس فى منتصف النهار لأنها تكون عمودية . لذا أكثر الأيام طولاً هى تلك التى يقصر فيها الظل وتقصر الأيام التى فيها يكون الظل طويلاً ، وهذا هو ما يحدث لنا فتكون الظلال على جانب واحد ، عندما نقطن اقليم الأرض الشمالى وهنا أناساً لا يكون لهم ظلال البتة فى منتصف النهار لمدة يومين فى السنة لأن الشمس تكون عمودية على رؤوسهم ، فتسطع بالتساوى من كل ناحية فهى وقتها تستطيع أن تسبب بؤرة ضوئية فى عمق البئر . وتدعو هؤلاء بال askii (أى منعدمى الظل) . ومن يعيش أبعد من land of spices يرى ظله على هذه الناحية الآن ثم على الناحية الأخرى وندعو هؤلاء الذين يسقط ظلهم فى منتصف النهار بـ amphiskii وتعنى لهم ظل على الناحيتين . وتحدث كل هذه الظواهر بينما تتحرك الشمس إلى الأقاليم الشمالية ، وهى تعطينا فكرة عن الحرارة التى تلقى بها الشمس فى الهواء عن طريق أشعتها وتأثيرها . وفى الخريف تنكسر حدة الحرارة ويقل الدفء بالتدريج وتعتدل الحرارة فتأتى بنا إلى الشتاء حيث تعود الشمس من الأقاليم الشمالية إلى الجنوبية . وهذه الأوقات التى تتبع حركة الشمس هى التى تحكم حياتنا .

ويقول الكتاب المقدس فى (تك١ :١٤) "ولتكون لأيام" وليس لأن تعطيها بل لتحكمها ، لأن الليل والنهار أقدم خلقاً من الأنوار وهو ما يعلنه لنا المزمور "الشمس لحكم النهار لأن إلى الأبد رحمته . القمر والكواكب لحكم الليل لأن إلى الأبد رحمته" (مز١٣٦ :٨، ٩) . كيف تحكم الشمس النهار ؟ لأنها تحمل معها النور فمتى ارتفعت زال الظلام وساد النهار . لذا نستطيع إن أشرقت نعرف النهار على أنه الهواء الذى تضيؤه الشمس أو فترة الوقت التى تقضيها الشمس فى نصف الذى نقطنه . وتحدد الشمس والقمر السنين ، فيدور القمر اثنى عشر مرة فى مداره وتكون هذه سنة ... وقد تحتاج السنة إلى شهر زائد (السنة الكبيسة) لتتفق تماماً والأوقات . وهذه هى السنة عند اليهود واليونانيين الأوائل ، أما بالنسبة إلى السنة الشمسية فهى التى تبدأ فيها الشمس من نقطة معينة وتعود إليها بعد أن تنتهى سنة .

http://coptic-treasures.com

٩ـ فعمل الله النورين العظيمين .. لو أطلقنا كلمة العظمة على السماء أو الأرض أو البحر مثلاً يكون لها معنى مجرد ، أما معناها النسبى فهو يكون حين نطلقه مثلاً على حصان أو ثور عظيمين . ليس لأن لهذه الحيوانات حجماً رهيباً ولكن لأنها متى قورنت بمثيلاتها تستحق لفظة العظمة . ولكن ما فكرتنا عن العظمة هنا ؟ هل تعنى الصفة التى نصف بها النملة والمخلوقات الأخرى الدقيقة التى تختلف عن مثيلاتها فيكون لها العظمة والسيادة فوقها ؟ أو نرجع عظمة الأنوار إلى العظمة الطبيعية الكامنة فيها ؟ وهو ما أعتقده . فلو أن الشمس والقمر عظيمين لا يرجع هذا إلى مقارنتهما بسائر النجوم الصغيرة ولكن لأنهما ينشران الضوء فى السماء والهواء فيضيئا الأرض والبحر ، وفى أى جزء من السماء يكونا فهما يظهران بنفس الشكل للبشر وهذا دليل على حجمها العظيم . فالسماء بكل مداها الكبير لا تجعلهما يبدوان أكبر فى جهة وأصغر فى جهة أخرى . فالأشياء البعيدة نراها صغيرة جداً وكلما اقتربت استطعنا أن نكون فكرة عن حجمها . ولكن لا يستطيع أحد أن يقترب أو يبعد عن الشمس ، فكل سكان الأرض تراها بنفس المسافة ، فالهنود والإنجليز يرونها بنفس الحجم ولا يرها أهل الشرق أصغر فى غروبها ولا يراها أهل الغرب أصغر فى شروقها ، وهى لا تختلف فى منتصف السماء من زى جهة ، فلا يخدعك المظهر لأنها تبدو كعرض الذراع فلا تتخيل أنت إنها حقاً بهذا الحجم . فإن الأشياء تفقد حجمها فى نظرنا إذا كانت بعيدة كل هذا البعد ، فالنظر لا يستطيع أن يصل إلى الفضاء الوسيط فالمسافة ترهقه وجزء صغير فقط هو الذى يتراءى . فقدرتنا على النظر صغيرة تجعل كل ما نراه صغيراً . فإذا كان النظر خاطىء فشهادته لا يؤخذ بها ، تذكر انطباعاتك وستجد فى نفسك دليل كلامى . فلو نظرت من قمة جبل إلى حقل كبير كيف يتراءى لك حجم نير الثيران أو القمين بالحرث ؟ ألا يبدون لك كالنمل ؟ ولو نظرت من أعلى صخرة على البحر ، كيف تتراءى لك أعظم الجزر ؟ وكيف تبدو لك السفن التى تقاس حمولتها بالطن وهى تنشر شراعها الأبيض ؟ ألا تبدو أصغر من اليمامة ؟ ذلك لأن النظر يفقد قدرته فى الهواء فيضعف ولا يستطيع أن يدرك بالتدقيق ما يرى . ترى بنظرك الجبال العالية والوديان الدائرية كالملساء ، لأن نظرك لا يستطيع أن يدرك عمق الوديان لضعفه ولا يستطيع حتى أن يحدد شكل الأشياء فيظن الأبراج المربعة دائرية كل ذلك دليل على أن النظر لا ينقل لنا من الأشياء البعيدة إلا ما هو غامض ومبهم . فالنورين

http://coptic-treasures.com

العظيمين حسب قول الكتاب وهما أعظم مما يبدوان .

١٠ـ خذ مثلاً آخر لعظمتهما ... فالسماء تمتلىء بعدد غير محدود من النجوم ولكنها لا تستطيع وحدها أن تضىء عتمة الليل . أما الشمس فهى متى تشرق تستطيع وحدها أن تقضى على الظلمة ويرتفع ضوؤها فيغطى ضوء النجوم المتبعثرة ، ثم تذيب الهواء الذى كان سميكاً متجمعاً وتأتى بنسيم الصباح والندى الذى يكثر على الأرض فى الطقس العليل . كيف يمكن للأرض أن تضاء ما لم يكن الجسم المسبب لضوئها عظيم فى حجمه وضوءه ؟ فكر فى حكمة الخالق المبدع وكيف ناسب حرارة الشمس ببعدها فحرارتها نظمت بحيث لا تحترق الأرض لشدتها ولا تبردها لضعفها .

أما القمر فله أيضاً حجم عظيم رهيب ترجع عظمته لعظمة الشمس ولا نرى حجمه بعيننا المجردة . فهو اسطوانة كاملة الإستدارة متى تقل استدارتها يظهر جزءاً من ناحية واحدة . عندما يصقل بالشمس يكون فى ظل من جانب واحد ومتى ينمحق (يدخل فى المحاق) ، تختبىء ناحية أخرى ، ولم يجعل الإله خالق الكون ذلك بياناً وبلا سبب سرى ، ، فيتغير القمر من وقت لآخر متخذاً أشكالاً عديدة تشبه طبيعتنا . فلا ثبات فى إنسان فمن لا شىء يرفع ذاته إلى الكمال وعندما يهرول كى يبلغ ذروة عظمته يبدأ فى الهبوط التدريجى اذ هو ينتهى بالموت . فمنظر القمر يذكرنا بتقلب البشر فيجدر بنا ألا نفتخر بحاجيات هذه الحياة ولا نمجد قوتنا ، فتحملنا مظاهر الغنى الوقتية إلى الإهتمام بأجسادنا المعرضة للتغيير ، فبالأحرى يجب علينا أن نهتم بالروح فصلاحها ثابت لا يتغير . فأنت تحزن لأن القمر يفقد عظمته تدريجياً ، ألا تحزن بالأحرى على روح كانت لها كل الفضائل ثم فقدتها كلها لإهمالها ، اذ أن مشاعرها متغيرة وأهدافها غير ثابتة . وما يقوله الكتاب المقدس هو حق .

"الجاهل يتغير كالقمر" وأنا أعتقد أن تغيرات القمر تؤثر بشكل كبير على نظام الحيوانات وسائر الكائنات الحية ، فالمخلوقات تتغير فى نظامها على نحو تغير القمر . فمتى ينمحق تفقد المخلوقات حيويتها ومتى يكتمل ويبلغ تمام حجمه تمتلىء حيوية ، ويرجع ذلك إلى الرطوبة التى يلقى بها فتختلط بالحرارة التى تخترق كل مكان . وللدلالة على ذلك انظر إلى من ينامون تحت القمر فستجد رطوبة كثيفة فوق رؤوسهم ، وكيف يتحول اللحم الطازج متى تعرض

http://coptic-treasures.com

للقمر؟ انظر إلى القدرة العقلية للحيوانات ، والجزء الرطب عند الحيوانات البحرية ، والنسيج المركزى الإسفنجى فى ساق الشجرة ، فللقمر كما يقول الكتاب المقدس ، حجم رهيب وقوة عظيمة تجعل الطبيعة تشاركها فى التغيير .

١١ ـ وتعتمد حالة الهواء أيضاً على تغيرات القمر ، بدليل الإضطرابات المفاجئة فى الرياح التى تتلو كل قمر جديد ، فبعد أن تكون ساكنة نجدها فجأة تضطرب فتثير السحب وتدفعها نحو بعضها الآخر . كما هو الحال فى التدفق والتراجع الذى يحدث فى المضايق والمد والجذر فى المحيط ويرى ذلك بوضوح من يقطن السواحل ، فتقترب المياه وتبتعد من شاطىء لآخر فى تغييرات القمر المختلفة . وعندما يكون وليداً أى هلال ، تتحرك بعنف ذهاباً وإياباً حتى يظهر القمر ثانية فينظم سريانها . أما بالنسبة إلى بحر الغرب فنجده فى مده وجذره يتدفق ثم يعود فيتراجع عندما يجذب به القمر إلى الوراء من خلال تنفسه وفى زفيره يرجع به إلى تخومه . لقد أتيت لك بكل هذه الأمثلة لأفسر لك عظمة الأنوار فتدرك أنه ما من كلمة فى الكتاب المقدس إلا وكان لها هدف ومعنى . ولكن لم تتلامس وعظتى مع أية نقطة هامة فهناك اكتشافات كثيرة عن حجم ومسافة الشمس والقمر يستطيع أن يصل إليها أى دارس لحركتها وصفاتهما ، فأنا أعترف بضعفى اذ أنى أخشى قياسكم لعظمة أعمال القدير الخالق بكلماتى . فالقليل الذى ذكرته يجعلك تفكر فى العجائب التى لم أذكرها . فيجب علينا ألا نقيس القمر بالعين بل بالفكر ، فالفكر أصدق من العين ، ففى كل مكان انتشرت القصص التى تخيلتها السيدات العجائز السكارى ، فأدعوا أن السحر استطاع أن ينزل بالقمر إلى الأرض ، كيف يستطيع سحر ساحر أن يهز من ذلك الذى وضع له الخالق القدير أساسه ؟ واذا قطع من مكانه أى مكان آخر يحويه ؟ أتتمنى أن أؤكد لك حجم القمر ؟ كل مدن العالم البعيدة والقريبة تستقبل ضوئه فى شوارعها . فلو لو يوجه ضوئه لها وجهاً لوجه لن يضىء بالكامل إلا ما كان منها مناقضاً وعكساً وما كان أبعد من حدوده ما استقبل إلا المائل من أشعتها . وهذا هو الحال مع ضوء اللمبات فى بيوتنا . فلو أحاط أفراد كثيرون باللمبة سيكون ظل الإنسان الواقف عكساً لها تماماً هو الظل المستقيم أما باقى الظلال فتكون كلها مائلة كل حسب إتجاهه ، وبنفس الحال ، لو لم يكن حجم القمر ضخماً ما استطاع أن يمد

http://coptic-treasures.com

ضوئه إلي كل مكان . فعندما يرتفع القمر يتمتع الكل بضوئه سواء من يقطن الإقليم الثلجى أو من يقطن أقصى الجنوب . فهو يعطينا فكرة عن حجمه متى كان وجهاً لوجه مع الأرض . من اذن يستطيع أن ينكر عظمة حجم جسم يسقسم ذاته بالتساوى على مساحة بهذا المقدار؟ يكفى لنا هذا الكلام بشأن عظمة الشمس والقمر . وندعو الخالق الذى منحنا ذكاءاً لندرك حكمته فى أصغر المخلوقات يجعلنا نجد فى أعظم الأشياء سبباً أكبر لحكمته . ولكن إذا قارننا الشمس والقمر بخالقهما لن يكونا إلا ذبابة نملة ، فالكون كله لا يعطينا فكرة صائبة عن عظمته. فنحن نرفع ذواتنا إليه من خلال الآيات الضعيفة وبمساعدة الحشرات الدقيقة وأصغر النباتات . وأخيراً أشكره هو لأنه منحنى الكلمة ومنحكم غذاء الروح ، هو الذى جعلكم تجدون فى صوتى الضعيف غذاءاً قوياً . وأنا أدعو أن يغذيكم إلى الأبد "ولكنه لكل واحد يعطى اظهار الروح للمنفعة" (١كو١٢: ٧) . له المجد والقدرة إلى أبد الآباد آمين .

http://coptic-treasures.com

العظة السابعة

خلق الزحافات

"وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء" .. ..

فبعد أن أتم خلق الكواكب المنيرة امتلأت المياه بالمخلوقات الحية وأعطيت أن تزين ذلك الجزء من الكون . فقد تزينت الأرض بالنباتات والسماء بالنجوم والجسمين النورانيين كعينين لها . يبقى أن تتزين المياه ، وصدر الأمر واذ كانت الأنهار والبحيرات مثمرة فاضت بنتاجها الطبيعى ، وتمخض البحر بالكائنات السابحة لم تكسل المياه عن عملها حتى فى الطين والمستنقعات . فخرجت عن فورانها فى كل مكان الضفادع والبعوض والذباب ، فما نراه اليوم هو إشارة إلى الماضى ، ففى كل مكان أسرعت المياه لتجيب أمر الخالق القدير ، فمن يستطيع حصر السلالات التى جاءت بقدرة الخالق العظيمة والغير المحدودة فعاشت وتحركت فى المياه بعد أن أعطى أمره للمياه بالقدرة أن تفيض بالحياة؟ "لتفيض المياه زحافات ذوات نفس حية" . ولأول مرة خلق كائن يعيش ويشعر ، فالبرغم من أن النباتات والأشجار تعيش وتتغذى وتنمو ، فهى لا تعتبر كائنات حية وليس لها حياة . قال الله "لتفض المياه زحافات" ليبدأ بها خلق المخلوقات .

فكل مخلوق يسبح سواء على سطح المياه أو يغوص إلى العمق ، فله طبيعة الزحافات اذ هو يجر ذاته فى المياه . ولبعض الحيوانات المائية أرجل تمشى ، وخاصة البرمائية كعجل البحر والكابوريا والتمساح وفرس النهر والضفادع ، فقد أعطيت كلها القدرة على السباحة ، اذا كان الأمر لتفض المياه زحافات ، فأى السلالات حذفت فى تلك الكلمات القليلة؟ وأى منها لم يحويه أمر الخالق؟ ألا نرى الحيوانات والدرافيل والأسماك والحيوانات الغضروفية وعجل البحر؟ ألا

http://coptic-treasures.com

نرى الحيوانات الـ oviparous التى تشتمل كل أنواع السمك تلك التى لها جلد والأخرى التى لها قشر والتى لها زعانف والتى ليس لها؟ فتطلب ذلك كله أمراً واحداً ، وحتى أقل من كلمة ، إشارة أو حركة للإرادة الإلهية لها المعنى العريض الذى يحوى تنوع أصناف وعائلات السمك، وعملية حصرها تشبه حصر أمواج المحيط أو مسك مياهه فى جوف اليد . لتفض زحافات ، أى تلك التى تسكن أعالى البحار أو التى تحب الشواطىء ، تلك التى تسكن الأعماق أو التى تلتصق بالصخور ، تلك التى تعيش مجتمعة أو التى تعيش متفرقة ، الإستاكوزا cetazeous العملاقة والدقيقة . فوجدت كلها الصغير منها والضخم وتبعاً لتلك القدرة وذات الأمر .

"لتفض المياه زحافات" وتظهر هذه الكلمات الصلة الطبيعية بين الحيوانات التى تسبح فى الماء : لذا يموت السمك بسرعة بمجرد أن يخرج من الماء إذ هو لا يستطيع أن يتنفس بجذب الهواء الذى نستنشقه ، فالماء هو سر بقائه كما الهواء للحيوانات الأرضية ، وسبب هذا واضح ، ففى رئتنا توجد مسام فى أجزائها الداخلية الإسفنجية ، تلك تستقبل الهواء عنما ينبسط القفص الصدرى فتفرق الهواء وتبرد الحرارة الداخلية . فى السمك تحل حركة الخياشيم التى تفتح وتغلق على التوالى فتدخل الماء وتخرجه ، محل عملية التنفس فى البشر . وللسمك خاصيته ، وطبيعته المتميزة وغذائه وحياته . ولا يمكن أن نستأنسه إذ هو لا يتحمل لمسة يد إنسان .

٢ ـ "لتفض المياه زحافات كجنسها" .. أمر الله أن تولد بدايات لكل السلالات فتكون بذوراً للطبيعة ، تتكاثر وتحتشد عندما يتطلب نموها وكثرتها . ونوع آخر هو testacea كالنسيج المفصلى والمراوح والقواقع والودع وأنواع المحار التى بلا عدد ، ونوع آخر هو القشريات كالسرطان (أبو جلمبو) وجراد البحر (الجمبرى) ، وأنواع أخرى لسمك بدون قشور بجسم رقيق ولين كالمرجان متعددة الأرجل وأم الحبر التى تتنوع بلا حصر ، وهناك الـ weevers وثعابين المياه بأنواعها التى تتكاثر فى طمى الأنهار والمستنقعات ، وهى أقرب إلى الزحافات السامة أكثر منها سمكاً فى طبيعتها . ونوع آخر هو سلالات الثدييات الولادة ovipara وسلالات البياضة vivipara وتتضمن الأخيرة أبو سيف وسمك القد والسمك الغضروفى وغالبية الحيتان (ثدييات) كالدرافيل وعجل البحر التى عندما ترى صغارها فتشعر بذعرها وتبتلعها فى بطونها مرة أخرى لتحميها .

http://coptic-treasures.com

"لتفض المياه كجنسها" ، تعد سلالات الحيتان شيء ، والأسماك الصغيرة شيء آخر .. ، يا لتعدد أنواعها اللامحدود ! فلكل منها اسمها وغذائها وشكلها ونوع جسمها المختلف . كلها يمثل تنوعاً لا محدوداً وتنقسم إلى أنواع بغير عدد . هل هناك من صياد للتونة يستطيع أن يحصر لنا أنواعها المختلفة؟ وعلى ذلك يقولون أنهم يستطيعون أن يخبرونا عن عدد السمك السائر فى سرب بمجرد مشاهدتهم إياه . أى إنسان منهم قضى حياته على الشواطىء يستطيع أن يخبرنا تاريخ كل السمك بالتدقيق؟ فبعضها معروف لدى صيادين المحيط الهندى وأخرى يعرفها الكادحون بالخليج المصرى أو ساكنى الجزر والعاملين بالبحر الأبيض المتوسط . كلها خلقت ، الكبير منها والصغير ، بذلك الأمر الذى أصدرته تلك القدرة الامحدودة . كم يختلف غذاؤها! وكم تختلف طرق تكاثر كل سلالة منها ! فأغلبها لا تفقس كالطيور ، ولا تبنى عششاً ولا تطعم صغارها بالكد ، فالماء يتلقى البيض الساقط منها ويحييه . ولا يختلف تكاثر السلالات ولا تختلط الطبائع فلا اتحاد منها يخرج على الأرض حيوانات وطيور مناقضة لطبيعة سلالتها . أما بالنسبة للسمك فلا خلاف ، اذ هى تشبه الثور والخروف فى تسلحها بأسنان نصف مجهزة ولا يجتر منها ، كما يقول بعض الكتاب إلا الـ scar فلكل منها أسنان متوالية حادة جداً ، اذ هى تخشى هروب الطعام لو مضغته فى وقت طويل ، وحقاً اذا لم يكسر الطعام ويبلع بمجرد ما يقسم فستحمله المياه بعيداً .

٣ ـ ويختلف نوع الطعام بحسب سلالة السمك فبعضه يتغذى على الطين ، وبعضه يأكل الشعب المرجانية وآخر يتغذى على أنواع الأعشاب التى تنمو فى المياه . ولكن غالبيته يبتلع بعضه البعض ، فالصغير غذاء لما يكبره حجماً ، ويأتى ما هو أكبر من الإثنين فيبتلعهما معاً فى أحشائه . ونحن البشر المائتون ، ألا نفعل مثلها عندما نظلم من هم أقل منا؟ فما الفرق بين السمكة الأخيرة والإنسان الذى يدفعه شرهه النهم إلى إبتلاع الأضعف منه من خلال حبه الشره لحشد المال؟ فأنت تمتلك حاجيات الفقير وتذهب إلى أكثر من ذلك فتمسك به وتجعله جزءاً من فيضك ، فأنت بذلك أكثر ظلماً من الظلم وأكثر بخلاً من البخل . انظر إلى أمرك خوفاً من أن تكون نهايتك كنهاية السمكة ، بخطاف أو شص أو شبكة . ونحن أيضاً ، اذ نقوم بأعمال الشر ، لن

http://coptic-treasures.com

نهرب من العقاب الأخير . وانظر الآن خديعة ومكر الحيوان الضعيف ولكن لا تحتذى حذو الأشرار ، فإن السرطان يحب جسم المحار ولكنه محتمى داخل صدفته ، ذلك المتراس الذى وهبته إياه الطبيعة فيحمى بها جسمه الرقيق ويصبح فريسة صعبة الوقوع بها . لذا هم يدعون المحار sherd-hide ويرجع الفضل إلى الصدفتين اللتين تحيطا بها واللتين تتأقلما مع بعضها البعض ، فى أن كلاباتها لا تؤذى . ماذا اذن يفعل السرطان كى يصطادها؟ إذ يراها ، وقد احتمت من الريح ، فتدفىء ذاتها متلذذة وتفتح صدفيتها قليلاً لتدخل إليها أشعة الشمس فبخبث يرمى إليها بحصاة تمنعها من أن تغلق صدفتيها ، وبمكر ينتصر عليها ، عندما تفقد قوتها .فهذا هو حقد تلك الحيوانات التى حرمت من العقل والتحدث . ولكننى أود أن لا تنافس السرطان فى مكره وصناعته فلا تؤذى جارك ، فهذا الحيوان هو صورة للشخص الذى يتقرب إليه أخيه بمكر ويتحين فرصة الضيقة التى يمر بها جاره ويجد لذته فى مصيبة الآخرين . لا تقلد الشرير! ارتضى بنصيبك فالكفاف أكثر قيمة للحكيم من كل المتع . ولن أدع مكر وخديعة نجمة البحر تمر هكذا بدون وقفة ، فهى تغير لونها بحسب لون الصخرة التى تلتصق بها ، وغالبية السمك تسبح فى فراغها نحو النجمة ، فى ظنها أنها صخرة ، فتصبح فريسة ذلك الحيوان الماهر . فتلك طبيعة من يتملق السلطات فيتلمس كل الظروف فلا يظل صاحب هدف واحد فى كل وقت ، ويعطى فرصة للمتهورين الذين يكيفون مشاعرهم بحسب أهواء كل منهم . فمن الصعب الهروب منهم أو حراسة ذواتنا من شرهم ، لأنهم يخفون شرهم الماهر تحت قناع من الصداقة الزائفة . فهؤلاء ذئاب تسلب فى ثياب حملان كما دعاهم الرب "احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة" (مت ٧:١٥) . فاهرب من الهوائى والملتوى ، وابحث عن الحق ، والإخلاص والبساطة . فالثعبان ذو الحيل والتدابير ، لعن فحكم عليه أن يزحف ، أما العادل فهو الصديق كأيوب "الله مسكن المتوحدين فى بيت" (مز ٦٨:٦) "هذا البحر الكبير الواسع الأطراف هناك دبابات بلا عدد . صغار حيوان مع كبار" (مز ١٠٤:٢٥) . فيسود نظام حكيم ورائع تلك الحيوانات . وبهذا يوفر لنا السمك أمثلة نافعة . فكيف أن كل نوع منها ، فى اكتفائها بالمجال الذى خلقت فيه ، لا تتعدى حدودها

http://coptic-treasures.com

أبداً إلى البحار الخارجية ؟ فلم يحد اقامتها مساح للأراضى ولا حد تحركها بأسوار ولا وضع لها حدوداً فلا تتعداها . . فقد حددت الطبيعة لكل نوع منها مكانها . فالخليج يغذى أحد أنواعها بينما تغذى مصادر أخرى سائر الأنواع ، وبينما يعيش هذا فى سرب هنا يعيش آخرون فى سرب هناك ولا يرفع جبل قممه الحادة بينها ، ولا يعوق نهر تحركها ، فهو قانون الطبيعة الذى يلبى احتياجات كل نوع ووزعها على أماكن إقامتها بالمساواة والعدل .

٤ ـ ليس هذا الحال معنا . لماذا ؟ فنحن ننقل باستمرار الآثار القديمة التى وضعها آباؤنا ، "لا تنقل التخم القديم الذى وضعه آباؤك" (أم ٢٢ : ٢٨) . فنحن نعتدى على ممتلكات جيراننا ونبنى منزلاً بجوار منزل ، ونزرع حقلاً لنضيفه لحقلنا ، فنغنى أنفسنا على حساب الغير . فالسمكة الكبيرة تعرف موضع إقامتها القصيرة التى عينتها لها الطبيعة ، فتسكن البحر بعيداً عن البشر ، حيث لا توجد جزر ولا تمتد القارات لتتصدى لها ، فما من بحار أغراه فضوله أو دفعته حاجته ليعبرها . وفى هذا البحر تقطن وحوش حجمها كحجم الجبال العالية ومن رآها شهد بذلك ، كما شهد بأنها لا تعبر تخومها أبداً لتعيث فساداً فى الجزر أو المدن المجاورة التى تطل على البحر ، فكل نوع منها يبدو وكأنه قد مسك فى مدن أو قرى أو فى دولة قديمة ، ولها اقليم فى البحر مكان سكنى لها عينته لها الطبيعة .

ونتكلم الآن فى موضوع الأسماك المهاجرة التى تبدو وكأن الطبيعة قد عمدت نقلها إلى أماكن غريبة عنها لذا فهى تبدأ رحلة العودة معاً بمجرد أن تصدر الإشارة بذلك . فعندما يحين زمان التوالدو تبدو وكأن قانون الطبيعة أيقظها لتهاجر من خليج لآخر متجهة نحو بحر الشمال . وفى زمان عودتها تجدها تتدفق كسيل جارف عبر البروبنتس نحو بحر الأيوكسين (Euxine sea) فمن يرتب لها طابور قتالها ؟ من هو الأمير وما هو أمره ؟ هل من مرسوم ثبت لها فى مكان عام ليحدد يوم الخروج ؟ ومن يرشدها ؟ فالأمر الإلهى يجيب على كل هذا ويمتد إلى جميع المخلوقات حتى الصغرى منها . فلا تقاوم السمكة أبداً أمر الله ، ونحن البشر لا نستطيع أن نحتمل فرائضه لنا لخلاصنا . فلا تحتقر السمك لأنه أبكم ولا يفكر ، يجب عليك بالأحرى أن تخشى أمرك أنت اذ أنك تقاوم القدير فيبدو عقلك أقل كثيراً من السمك. فاصغ إلى السمك التى تكاد بحركتها

http://coptic-treasures.com

تتكلم وتقول : إنه من أجل بقاء سلالاتنا ، نتحمل مشقة كل تلك الرحلة الطويلة . فليس لها هبة الفكر ولكن ها أمر الطبيعة الصارم الذى يحدد لها حياتها . هلم بنا ، إلى بحر الشمال ، فمياهه أعذب من باقى البحر ، أو الشمس لا تسطع هناك كثيراً فلا تجذب الجزء الأكبر من مياه الشرب ، فحتى الكائنات البحرية تحب المياه العذبة ، لذا كثيراً ما نجدها تهرب إلى الأنهار سابحة من البحار . وهذا هو السبب أنها تفضل بحر الأوكسين على سائر الخلجان ، فبحر الأوكسين هو الأنسب لتوالدها ورعايتها لصغارها . ومتى بلغت غايتها تعود تعود القبيلة كلها على أعقابها . فهلم بنا نستمع إلى هذه المخلوقات البكماء وهى تفسر لنا السبب فهى تقول ، البحر الشمالى ضحل وسطحه معرض للريح العنيف وليس له إلا القليل من الشواطىء . لذا فإن الرياح تهزه بسهوله إلى العمق فتختلط رماله بأمواجه ، كما أنه بارد فى الشتاء اذ تصب فيه الأنهار الكبيرة من كل اتجاهاته ، اذن فهى تتمتع بعض الشىء بمياهه صيفاً ، ولكن متى حل الشتاء فهى تسرع إلى الأعماق الدافئة والأماكن التى تعرضت طويلاً لحرارة الشمس ، فتهرب من عواصف الشمال الصقيعة إلى البحار الأقل هياجاً فتأخذ منها ملجأ لها .

٥ ـ وقد رأيت بنفسى مثل هذه العجائب وشكرت الله لحكمته فى كل شىء . فحتى الكائنات التى حرمت هبة الفكر تستطيع أن تفكر وتوفر لذاتها ما يضمن بقاءها ، فاذا أدركت السمكة ما يجب أن تسعى وراءه وما يجب أن تهرب منه ، ماذا لنا أن نقول ، نحن الذين أعطينا الفكر ، وتعلمنا الفرائض وتحثنا الوعود ويملأنا الروح حكمة ومع ذلك لا تشغلنا ذواتنا بقدر ما تنشغل السمك بها؟ فهى تعرف كيف تأمن المستقبل ونحن ليس لنا رجاء فى المستقبل ، ونعيش الحاضر فى تلذذ بهيمى . وتعبر السمكة تخوم البحر لتجد صالحها ، فماذا إذن تقول أنت الذى تعيش فى الباطل الذى هو أصل لكل الشرور؟ ليس لأحد عذر بجهله بهذه الأمور . فقد زرعت فينا الطبيعة حب الخير وبغض الشر . ولن أذهب بعيداً عن البحر لنحتذى به فهو موضوع بحثنا . وقد سمعت يوماً رأياً قاله لى إنسان يعيش بالقرب من البحر وهو أن بالبحر قنفذ صغير محتقر ينبىء الملاحين بالهدوء والعاصفة ، فهو اذ يشعر مقدماً باضطراب يأتى تحت صخرة كبيرة ممسكاً بها كما المرساة فيدفع بعنف وهو فى مأمن بعد أن جعل من ثقله مانعاً أمام الأمواج فلا تلعب به .

http://coptic-treasures.com

تلك هى العلامة التى يدركها الملاحون فيعرفون أنهم مهددون برياح صاخبة عنيفة ، فما من منجم أو فلكى الذى يفسر بالنجوم اضطرابات الهواء يستطيع أن يلهم القنفد بذلك السر ، فهو الرب سيد البحر والريح هو وحده الذى جعل هذا الحيوان الصغير يدل على حكمته العظيمة . فقد رأى الرب مقدماً كل شيء ولم يهمل شيئاً . فعينه التى لا تنام أبداً تلاحظ كل شيء . "فى كل مكان عينا الرب مراقبتين الطالحين والصالحين" (أم ١٥ :٣) . فهو موجود فى كل مكان يعطى كل مخلوق سبيل بقائه فاذا كان الله لم يترك القنفذ بدون عنايته ، فهل لا يعتنى بك أنت ؟

"أيها الرجال أحبوا نساءكم" (أف ٥ :٢٥) ، فأنتما لستما بعد اثنين بل جسد واحد . فيكون هذا الرباط الطبيعى وهذا النير الذى فرضته العطية المقدسة سبباً لاتحاد هذين المنفصلين . فالأفعى السامة التى هى أشر الثعابين تتحد مع الثعبان البحرى وتعلن عن وجودها بفيح فتنادى على الأخرى من الأعماق ليتم الزواج ، ويطيع الثعبان البحرى فيتحد بهذا الحيوان السام . ما معنى ذلك ؟ إنه مهما قسا وغلظ الزوج ، يجب على الزوجة أن تتحمله بدون أن تحاول أبداً فك الرباط بينهما ، قد يضربك ولكنه زوجك ، قد يكون سكيراً ولكنه متحد بك بالطبيعة . قد يكون بهيمى غضوب ولكنه أحد أعضاء أسرتك بل أهمها جميعاً .

٦ ـ وليصغ الأزواج أيضاً : ها هو درس لهم ، فإن الحنش ينثر سمه فى مقابل الزواج وأنت أيضاً ألا يجب أن تتخلص من همجيتك وعدم إنسانيتك احتراماً منك لذلك الرباط المقدس ؟ ولعل مثل الأفعى يحوى معنى آخر . فأنت اذ تتآمر ضد زيجات الآخرين ، فكر فيما تشبه من الزحافات .

فلى هدف واحد مما أقوله ، هو بنيان الكنيسة ، فدع الفاسقين يكبحوا جماح عواطفهم اذ تلقنهم أمثلة المخلوقات ، التى تعيش فى الأرض والبحر . ولكن يدفعنى عجزى والساعة المتأخرة إلى أن أنهى حديثى . على أنه ما زالت لى بعض الملاحظات على ما ينتجه البحر تزيد من اعجاب جمهورى المنتبه . هلم بنا نتكلم على البحر ذاته ، نسأل كيف تتحول المياه إلى ملح ؟ وكيف يتحول المرجان ، وهو ذلك النبات الموجود فى وسط البحر إلى صخرة صلبة إذا ما تعرض

http://coptic-treasures.com

للهواء فيكون حجراً نفيساً؟ ولماذا جعلت الطبيعة أحقر الحيوانات ، وهو المحار ، يحوى أنفس الأشياء ألا وهو اللؤلؤ؟ فهذه الآلىء التى يشتهيها الملوك لتكون أغلى نفائسهم تحويها المحارات وتقذفها المياه على الشواطىء والصخور الحادة . وكيف تستطيع الـ sea pinna أن تنتج مثل تلك الجزة الذهبية التى لا تستطيع صبغة أن تفعل مثلها ؟ وكيف تستطيع الأصداف أن تضفى على الملوك لوناً بنفسجياً بهى لا يقل عن لون الزهور فى الحقل؟ . "لتفض المياه" .. هل كان هناك أى شىء ضرورى لم يظهر على الفور؟ أم ما هو الشىء الذى لم يوهب للإنسان وكان خاصاً بترفه؟ فقد أعطى الإنسان ما يسد حاجته وما يجعله يتأمل عجائب الخلق . كما أعطى بعض العطايا الصعبة لئلا يعيش فى تعطل بل تلقنه .

"فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها" .. وقد أعطى لهم الكتاب لفظ عظام ليس لأنها أعظم من الجمبرى والربحة ولكن لأنها فى حجم الجبال العالية . لذا عندما تسبح على سطح الماء نراها وكأنها جزر . ولكن هذه الوحوش لا تزور شواطئنا وسواحلنا ، فهى تقطن المحيط الأطلنطى . وهذه الحيوانات خلقت لتملأ قلوبنا بالرعدة والهلع . ولو سمعت ما يقال أنه قد أوقفت أكبر السفن وهى تبحر ، سمكة صغيرة جداً هى الـ remora ، والتى لها قوة عظيمة تستطيع معها أن تجعل السفينة تقف بلا حراك لوقت طويل وكأن لها جدور فى منتصف البحر ، ألا ترى اذن فى هذا المخلوق الصغير دليل على قدرة الخالق؟ ولا يعد السمك السياف وسمك النشار وكلب البحر (وهو يشبه سمك القرش الصغير) والحيتان والقرش هى الأنواع الفريدة فقط التى تسبب هلعاً ، فنحن نخشى أيضاً مسمار الـ stingray حتى بعد موته ، وأرنب البحر haresea بضرباته القاضية المميتة السريعة التى لا مفر منها . يجعلها الخالق كلها أمامك حتى يوقظك ، فأنت تستطيع تجنب كل تلك الأهوال التى تهددك بها كل تلك المخلوقات ، فقط اذا كان كل رجاءك فيه هو .

هلم بنا الآن نترك عمق البحر ونأخذ من الشاطىء ملجأ لنا ، فعجائب الخليقة التى جاءت متتالية كالأمواج غمرت حديثى . ولن أتعجب اذ بعدما وجدت عجائباً عظيمة على الأرض ، قفزت روحى إلى البحر لتهرب مع يونان فيه . ويبدو لى أننى كلما تقابلت مع تلك العجائب التى

http://coptic-treasures.com

لا حصر لها ، سأنسى كل مقياس ، واختبر مصير الملاحين الذين يبحرون فى أعالى البحار وليس لهم نقطة ثابتة تحدد لهم تقدمهم أو تعين لهم مقدار المسافة التى عبروها . فهذا هو ما حدث لى . فيبنما عبرت كلماتى عن الخليقة فى لمحة خاطفة ، لم أدرك حشد المخلوقات التى تكلمت عنها . وبالرغم من أن هذا الجمع الكريم قد سر بحديثى ، وكان ذكر عجائب الخالق السيد شيق فى آذان عبيده ، دعونى الآن أرسى بسفينة حديثى وانتظر اليوم الذى أستطيع أن أكمل فيه ما تبقى عندى أن أقوله . هلم بنا الآن نقف ونشكر الله على ما قيل طالبين منه قوة لنسمع ما تبقى لنا . وادعوكم لأن تشغلوا أذهانكم بما تكلمنا به صباحاً ومساء بينما تتناولون طعامكم ، واذ أنتم الآن ممتلئين بهذه الأفكار حتى نومكم ، ادعو لكم أن تتمتعوا باليوم حتى تقولوا "أنا نائمة وقلبى مستيقظ" (نش ٥ :٢) متأملين ليل نهار فى وصايا الرب الذى له المجد والمقدرة إلى أبد الآباد آمين .

http://coptic-treasures.com

العظة الثامنة

خلق الحيوانات المائية

١ ـ قال الرب "لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها بهائم ودبابات وزواحف ووحوش أرض كأجناسها وكان كذلك" .. نجد أمر الله يتقدم خطوة بخطوة ، حتى تكمل الأرض زينتها . بالأمس كان يقال لتفض المياه زحافات ، واليوم لتخرج الأرض ذوات أنفس حية .. هل الأرض اذن حية؟ وهل المانيون محقون فى أعطائها روح؟ وفى هذه الكلمات "لتخرج الأرض" عدم إنتاج بذرة تستمر ، ولكن الله هو الذى أمر ، وفى نفس الوقت منحها النعمة والقدرة على الإنبات ، وعندما سمعت الأرض هذا الأمر "لتخرج الأرض العشب والأشجار تثمر ثمراً" وأنه ليس العشب المختبىء بها هو سبب الإنبات ، إنها لا تنبت على السطح أشجار النخيل والبلوط وشجرة الحياة حتى الآن ما تزال فى باطنها . إنها كلمة الله التى شكلت طبيعة الأشياء المخلوقة . "لتخرج الأرض ثمراً" وهذا يعنى أنها لا تخرج ما بداخلها بل ربما تنتج ما تفقده ، وعندما أعطاها الله القوة حينئذ كان كذلك "لتخرج الأرض ذوات أنفس حية" إنها تحوى بداخلها المخلوقات الحية ، بل أنه الأمر الذى أمرها به الله . وبالإضافة إلى ذلك فإن المانيون يعارضون أنفسهم ، لأنه إذا كانت الأرض قد خلقت الحياة لكانت جردت نفسها من الحياة ، ولكن مبدأهم اللعين لا يحتاج إلى اثبات ، لكن لماذا قبل الماء الأمر الإلهى كى يخرج الزواحف الحية ، والأرض لكى تخرج الأنفس الحية؟ نستنتج من ذلك أنه بطبيعتها ، والمخلوقات البحرية تظهر فقط لكى تعيش حياة غير تامة لأنها تعيش فى مادة كثيفة وهو الماء . وإنها تسمع بصعوبة ونظرها ضعيف لأنها ترى من خلال الماء فقط وليست لديها ذاكرة ولا تخيل ولا فكرة عن الحياة الإجتماعية . لذلك ظهرت اللغة الإلهية لكى توضح ذلك ، لأنه فى الحيوانات البحرية الحياة المادية

http://coptic-treasures.com

أصل حركتها النفسية . بينما فى الحيوانات البرية الممنوحة حياة أفضل ، فالروح تستمتع بسلطة اسمى ، وفى الحقيقة الجزء الأكبر من الحيوانات ذوات الأربع لديها قوة أكبر فى ادراك حواسها ، وادراكها لأشياء حاضرة بشكل كبير ، وتحتفظ بذاكرة قوية عن الماضى . وهذا يوضح أن الله ، بعد الأمر الذى أعطى المياه لكى تخرج الزواحف الحية ، خلق الأجسام الحية للحيوانات البحرية ، بينما الحيوانات البرية أمر الله الروح أن تبقى وتحكم الجسم ، وهذا يوضح أن أهل الأرض قد منحوا أعظم قوة حية . وبدون شك الحيوانات الأرضية مجردة من الإدراك ، وفى نفس الوقت كيف يكون للروح عدة تأثيرات ولكل واحدة منهم تعبر بصوت الطبيعة ! أنهم يعبرون بالبكاء والحزن ، ومعترفين بما هو مألوف لديهم مثل الإحتياج للطعام ، بالحزن من فراق رفاقهم وعواطفهم لا تحصى ولا تعد وعلى العكس الحيوانات البحرية ليست خرساء فقط لكنه من المستحيل ترويضها [٨] أيضاً ، أو تعليمها أو تدريبها للمجتمع الإنسانى ، "الثور يعرف قانية والحمار معلف صاحبه" لكن السمك لا يعرف من يطعمه ، والجحش يعرف الصوت المألوف ، ويعرف الطريق الذى اعتاد أن يسلكه ،وحتى إذا فقد الإنسان الطريق أحياناً يرشده الحمار ، وسمعه أدق من أى حيوان آخر . وهل أى حيوان بحرى يستطيع أن يحقد ويغتاظ كثيراً كالجمل ؟ فالجمل يستطيع أن يخفى حقده لمدة طويلة بعد ضربه حتى يجد الفرصة لرد الخطأ . وأنت الذى تملك قلب ولا تسامح ، وتمارس الإنتقام كفضيلة ، راقب ما تجنى عندما تحتفظ بغضبك ضد جارك لفترة طويلة أنه مثل شرارة مختبأة فى الرماد ومنتظرة الوقود لكى تحرق قلبك .

"لتخرج الأرض ذوات أنفس حية" .. لماذا اخرجت الأرض أنفس حية؟ وهكذا تعلم أن هناك اختلاف بين نفس البهيمة ونفس الإنسان ، سوف تعرف فى الحال كيف أخذت نفس الإنسان شكلاً . اسمع الآن عن أنفس المخلوقات المجردة من العقل . حسب الكتاب المقدس فإن كل مخلوق نفسه فى دمه (لا١٧: ١١) والدم مع كثافته يتحول إلى جسد ، وعندما يفسد الجسد يتجلل فى الأرض ، فأنفس الوحوش بطبيعة جوهرها أرضية . "لتخرج الأرض ذوات أنفس حية" .. أنظر إلى علاقة الدم بالنفس ، والدم بالجسد ، والجسد بالأرض ، وهناك إحساس

---

(٨) لم يكن القديس باسيليوس قد رأى كيف درب الإنسان الدرافيل وروض كلاب البحر كما يحدث فى أيامنا .

http://coptic-treasures.com

معكوس فترى العلاقة من الأرض للجسد ، ومن الجسد للدم ، ومن الدم للروح ، وسوف تجد أن روح الحيوانات أرضية ، ولاتفترض أنها أقدم من الإحساس بأجسادهم ، ولا تعنى استبقاء انحلال الجسد ، وتجنباً لأفكار الفلاسفة المتغطرسين الذين لا يخجلون من مماثلة نفوسهم بنفس الكلب ، وقالوا أنهم كانوا فى الماضى نساء ، ولا أخشى أن أثبت أنه فى كتاباتهم قد أظهروا حماقتهم .

"لتخرج الأرض ذوات أنفس حية" .. ربما كثيرين منكم يسألون ، ماذا كل هذا السكون الطويل فى وسط هذا الازدحام والسرعة فى حديثى . كثير من المستمعين المجتهدين لن يكونوا جهلاء فى سبب اخفاقى فى الكلمات ، هل خانتنى الكلمات ، أم ماذا! ألم أراهم ينظرون بعضهم إلى بعض ويضعون علامات لكى يجعلونى أراهم يذكروننى بما توقفت عنده؟ (٩) .. لقد نسيت جزء من الخليقة وهذا الجزء من أهم الأجزاء ، وقد قرب حديثى على الإنتهاء ، دون أن أذكر هذا الجزء ، "لتفض المياه زحافات ذوات أنفس حية وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء" ، ولقد تكلمت عن السمك طويلاً حتى وقت المساء ، واليوم قد عبرنا إلى الحيوانات الأرضية ، وقد نسيت الطيور بين الإثنين ، نحن كثيروا النسيان كالمسافرين الذين نسوا بعض الأشياء الهامة ، ويضطرون لبعد مكانهم إلى متابعة سيرهم ، معاقبين على إهمالهم بتعب الرحلة . لذلك يجب علينا أن نرجع إلى الخلف ، لأن الشىء الذى أهملناه لا يستهان به ، وهو الجزء الثالث من خلقة الحيوانات وفى الحقيقة يوجد ثلاث أنواع من الحيوانات : الأرضية والطائرة والبحرية . "لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء" (تك ١ : ٢٠) .. لماذا أيضاً تفض المياه طيور؟ لأنه يوجد صلة قرابة بين الكائنات الطائرة والكائنات البحرية ، وبنفس طريقة السمك فى عبور المياه بواسطة زعانفه لتدفعه إلى الأمام وذيله يوجه حركته إلى الأمام والجنب . نرى كذلك الطيور تطير بمساعدة أجنحتها ، وكلاهما أعطيا امكانية العوم . واصلهم المشترك من المياه جعلهم من عائلة واحدة وفى نفس الوقت لا يوجد طائر بدون أرجل لأنه لا يستطيع ايجاد طعامه على الأرض بدونهم . والطيور المفترسة لها مخالب لتمكنها من القبض على فريستها ، والباقى أعطى إمكانية أكبر فى أرجلهم

(٩) ربما صمت هذا القديس باسيليوس أثناء الحديث ، فأخذ البعض يشيرون إليه ظانين أنه صمت لأنه نسى النقطة التى توقف عندها ولكنه كان قد صمت لأنه نسى التكلم عن الطيور .

http://coptic-treasures.com

للبحث عن طعامه ، ولكى يستخدموها فى باقى لوازم الحياة . وهناك القليل منهم لا يستطيع المشى إلا بصعوبة ، ورجليه ليسا مؤهلين للمشى ولا للصيد ، ومن بين هذه الأعداد عصافير الجنة ، عاجزون عن المشى واقتناص فرائسهم ، كذلك الطيور الجبلية ، لأنها تعيش على الحشرات الصغيرة التى يحملها الهواء . وقد أكمل الله وظيفة الأرجل لعصافير الجنة بطيرانهم المستمر عبر الأرض .

٣ ـ يوجد أيضاً أعداد كبيرة من أنواع الطيور ، لو القينا نظرة عليهم جميعاً كما فعلنا عن السمك ، سوف نجد تحت الإسم الواحد ، مخلوقات مختلفة فى الحجم والشكل واللون فى حياتهم وتصرفاتهم وسلوكهم ، وبهم إختلافات متعددة تفوق الوصف . وقد حاول البعض أن يعطى لهم أسماءاً ربما لكى تميزهم مثل البصمة ، ويضعون علامات لكى يفرقوا بين الأنواع المعروفة . مثلاً النسور يطلقون عليها اسم سيزوبترا ، والآخر الخفاش درموبترا ، وآخرون بتيلوتا على الدبور ، وآخرين كوليوبيترا على الخنفساء ، وهذه الحشرات التى أحضروها رغماً عنها للدراسة وتم معرفتها ، حطمت قيودها وتحررت بطيرانها ، ولكننا نعرف الكثير الذى يميز كل فصيلة منهم ، وقد وضعنا العلامات المختلفة التى ذكرها الكتاب المقدس للتفرقة بين الطيور الطاهرة والنجسة . وهكذا فان أنواع آكلى اللحوم من نوع واحد وجسم واحد يناسب أسلوب حياتهم : فإن مخالبهم حادة ومناقرهم الملتوى وأجنحتهم الخفيفة تساعدهم على الإنقضاض بسهولة على فريستهم ، والطير بها بعد القبض عليها وتختلف تركيبة جسم الطيور التى تلتقط الحبوب ، وأكرر لأن هذه تعيش على كل ما يمر بها .

أى تنوعات فى هذه المخلوقات !! البعض منهم إجتماعى ، ما عدا الطيور المفترسة التى لاتعرف غير مجتمع الزواج ، لكن أنواع كثيرة تحب الحياة العادية . بين هؤلاء طائر الكركى والحمام والزرزور وغراب الزيتون . ومنهم ما يعيش بدون قائد فى حياة تعتمد على الذات ، والبعض الآخر مثل الكركى لا يرفضون أن يكون لهم قائداً . والإختلاف الواضح بينهم أن البعض منهم مستقر وغير رحال ، والبعض الآخر يقوم برحلات طويلة ، والجزء الأكبر منهم يهاجرون فى بداية الشتاء . وتقريباً معظم الطيور يمكن ترويضها وتدريبها ، ما عدا الضعيف منها الذى يخاف بشدة لمسة يد

http://coptic-treasures.com

الإنسان . البعض منها يعيش كالمجتمع الإنسانى وآخرون يسكنون في الجبال والصحراء . ويوجد إختلاف كبير فى تغريدهم : البعض يغرد ويزقزق والآخر ساكن والبعض لهم صوت موسيقى عالى ، والبعض غير متناسق ولا يستطيع الغناء ، البعض يقلد أصوات الإنسان ، ويتعلم التقليد سواء بالطبيعة أو بالتدريب ، آخرون يقلدون صوت البكاء . الذكر دائماً مفتخر بنفسه ، والطاووس يعرف قدر جماله ،والحمام والدجاج عاشق دائماً ، ويبحثون عن مجتمع خاص بهم . أما الحجل فهو مخادع وحسود يساعد الصيادين مساعدة غاشة لكى يأخذ منهم الفريسة .

٤ ـ كم من أنواع الطيور تكلمت عنها فى تصرفاتها ومعيشتها! البعض منهم أيضاً لهم حكومات ، ونرى ذلك فى النحل أنهم يسكنون معاً ويطيرون فى الهواء سوياً ويجتهدون فى نفس العمل مع بعضهم البعض ، والشيء الذى مازال خارقاً أن الشغالات تكون تحت قيادة وإشراف الملكة ولا يسمحون لأنفسهم بالطيران إلى الحدائق إلا إذا كانت الملكة تطير أمامهم . وبالنسبة للملكة أنها ليست الإنتخابات التى تعطيها السلطة أو جهل من الناس الذين دائماً يضعون أسوأ رجل فى موضع القوة ، أنه ليس القدر ، فالقرار الأعمى للقدر دائماً يعطى السلطة لمن لا يستحقها . وأنها ليست الوراثة التى منحتها التاج ، ومن الطبيعى أن نرى أبناء الملوك وقد فسدوا من الثراء والنفاق ، ويجهلون كل الفضائل . ليس كل هذا بالنسبة للنحل بل أنها الطبيعة التى خلقت ملوك النحل ، لأن الطبيعة أعطتهم حجم أكبر وجمال ورقة الطبع . والملكة لها زبان مثل الآخرين لكنها لا تستعمله للإنتقام لنفسها ، أنه مبدأ الطبيعة والقانون الغير مكتوب ، أن الذين ارتقوا فى مركز عالى يجب أن يكونوا أكثر رفقاً فى الإنتقام . وحتى النحل الذى لا يتبع الملكة ، يندمون بدون أن يحمقهم أحد ، حتى يقضوا نحبهم بأذنابهم .

اصغوا أيها المسيحيين ، أنتم ممنوعون من أن تقابلوا الشر بالشر بل أمرتم أن تقابلوا الشر بالخير (رو ١٢:٧ ، ٢١) . خذوا النحل مثالاً جيداً لكم ، الذى يبنى خليته بدون أذى لأحد ، وبدون التدخل فى شئون الآخرين ، ويجمعون الشمع من الزهور بأفواههم ، ويسحبون العسل ويضعونه فى الخلية ، العسل فى البداية يكون سائلاً ثم يغلظ قوامه ويحلو طعمه . وقد شرف سفر الأمثال النحل وأعطاه مكانة عظيمة بتسميته الحكيم والنشيط . وكم من نشاط تقوم به النحلة لكى

http://coptic-treasures.com

تجمع هذا الغذاء الثمين الذى به يصح الملوك وعامة الشعب . كم من الفن والذكاء يلعبه النحل فى بناء المخازن التى صممت لكى تستقبل العسل !! وبعدما تنشر الشمع مثل الغشاء الرقيق ، توزعه على الأجزاء المجاورة وبرغم ضعفهم إلا أن أعدادهم الضخمة تشكل البناء الكلى . وكل خلية فى الحقيقة تلازم المجاورة لها وبينهم جدار رقيق ، وبذلك نرى اثنين أو ثلاث قاعات من الخلية مبنية واحدة على الأخرى . والنحل يأخذ حذرة ولا يبنى تجويف فسيح خوفاً من أن ثقل السائل يكسره ويجعله يضيع ، وبذلك نرى الإكتشافات الهندسية التى يصنعها النحل لحكمته . وصفوف أقراص العسل كلها سداسية الشكل ومتساوية الأضلاع . ولا توضع على بعضها البعض ، فالعسل الجديد يجب أن يوضع فى المكان الخالى . لكن زوايا الخلية المنخفضة تشكل الأساس الذى يحمل الخلايا العليا ، وتجهز لتدعم الخلايا المنخفضة وبذلك كل خلية تحتفظ بأمان بالعسل السائل .

٥ ـ كيف نقوم بمراجعة خصائص حياة الطيور؟ .. من الملاحظ أن الكركى خلال الليل دائماً يراقب ثم ينام ، وآخرون يقومون بجولة ويدبروا نوماً هادئاً لرفقائهم ، والحارس بعد الإنتهاء من عمله ينام وآخر يقوم مقامه فى الحراسة . ونرى نفس الأمر يسود فى رحلتهم ، فواحد منهم هو الذى يقودهم فى الطريق ، وعندما يقود المجموعة لبعض الوقت يترك مكانه للآخر الذى يأتى بعده للعناية والإرشاد للمجموعة . وقيادة طائر اللقلق ذكية جداً ، وفى هذه المناطق يهاجرون فى نفس الموسم ، والكل يبدأ الهجرة بإشارة معينة . ويخيل إلى أن الغربان يخدمونهم كالحارس ويذهبوا لإحضارهم ومساعدتهم ضد أى هجوم من الطيور العدوانية والدليل على ذلك أن فى هذا الموسم لا يظهر غراب واحد ثم يرجعون وبهم جراح ، وهذا يدل على مدى المساعدات التى قدموها .

من ذا الذى يشرح لهم قوانين حسن الضيافة؟ ومن الذى هددهم بالعقاب عند الخيانة؟ وهكذا لا يفقد واحد من المجموعة . أسمعوا يا كل القلوب الجاحدة ، والذين يغلقون أبوابهم ولا يفتحون بيوتهم أبداً لا فى شتاء ولا فى الليل للمسافرين . وقلق طائر اللقلق على كبار السن ، يكفى إذا تأمل أولادنا فى ذلك ، لكى يجعلهم يحبون آبائهم ، اللقلق يحيطون بوالدهم عندما

http://coptic-treasures.com

يكبر سنه ويفقد ريشه ، فيدفعون بأجنحتهم ويمنحونه مساعدات كثيرة ، حتى فى أثناء طيرانهم يساعدونه على قدر المستطاع ، ويرفعونه بخفة وبرفق على كل جانب من أجنحتهم .

لا تترك أحد يرثى الفقر ، ولا تترك الرجل الذى فى بيته ييأس من حياته ، عندما يتأمل بناء عصفور الجنة وزوجته عشهما ، فهى تحضر القشة الصغيرة فى منقارها ، ولكنها لا تستطيع رفع الطين فى مخالبها لذلك فهى تبلل نهاية جناحها فى الماء ثم تلفه فى التراب وبذلك يحصل على الطين . وبعدما تجمع القش قطعة بقطعة ، تطعم صغارها ، وإذا واحد منهم جرح فى عينه فهى لديها علاج طبيعى لكى تشفى نظر صغيرها . هذا المشهد يجب أن يحذرك أن لا تسلك فى طريق الشر بسبب الفقر ، حتى إذا أخضعت للحاجة القصوى لا تفقد الأمل . لا تترك نفسك للكسل ، لكن استعن والتجىء إلى الله ، وإذا كان الله حنون على العصفور ، فما الذى سيفعله للطالبين إياه بكل قلوبهم ؟

والقاوند وهو طائر مائى يضع بيضه على الشاطىء أو يدفنه فى الرمل ، ويضع البيض فى وسط الشتاء ، عندما تهاجم شدة الرياح البحر ، لكن لأجله تهدأ الرياح وأمواج البحر سبعة أيام، وهى التى يرقد فيها الطائر على البيض لتفريخ الصغار . وعندما يكونوا فى إحتياج للطعام لكى ينمو ، والله فى كرمه وسخائه يمنح سبعة أيام أخرى لهذا الطائر الصغير . كل البحارة يعرفون ذلك ويسمون هذه الأيام بأيام القاوند . وإذا كانت العناية الإلهية قد نظمت هذه القوانين الرائعة للمخلوقات المجردة من العقل ، فهى تقنعك بأن تطلب خلاصك من الله . هل يوجد أى معجزة لم يصنعها الله لك ، لقد خلقت على صورته . اذكر أن البحر الكبير المخيف يهدأ ويأمره الله فى وسط الشتاء بالهدوء لأجل الطائر الصغير .

٦ ـ وأنه يقال أن اليمامة عندما تفترق عن رفيقها لا تقترن بآخر ، وتظل أرملة فى ذكرى إقترانها الأول . اصغين أيتها السيدات ! اصغين أيتها السيدات وأنظرن مدى إحترام الترمل ، حتى فى هذه الكائنات المجردة من العقل ،كيف يفضلن الترمل عن تعدد الأزواج . والنسر يبين مدى الظلم العظيم فى تعليم صغارها ، لأنه عندما يخرج فرخين من البيض ، تلقى بواحد على الأرض وتدفعه للخارج بضربة من أجنحتها ، وتعترف بالآخر فقط ، وهذا لصعوبة البحث عن الطعام

http://coptic-treasures.com

الذى جعلها تنبذ نتاجها الذى أخرجته . ولكن يقال أن النسر السماك لا تسمح له أن يموت فهى تحمله بعيداً وتحضره مع صغارها . وبعض الآباء الذين تحت ادعاء الفقر يتخلون عن أولادهم . وأولئك الذين يوزعون ميراثهم ويقسمونه بدون تساوى ، لكن عندما يعطوا كل واحد كيانِ متساوى ، وأنهم كلهم متساويين ولا يفضل أحداً على أحد ، بذلك يعدونهم للمضى فى معيشة سوية ، فأحذر من تقليد قساوة الطيور ذات المخالب المعقوفة . عندما يروا صغارهم من الآن قادرين على القتال فى الهواء أثناء طيرانهم ، يلقوا بهم خارج العش ، يدفعونهم ويضربونهم بأجنحتهم ، ولا يهتمون بهم بعد ذلك . وحب الغراب لصغاره صحى ! وعندما يبدأون فى الطيران تتبعهم أمهم ، وتعطيهم الطعام ، ولوقت طويل تمدهم بالغذاء . كثير من الطيور لا يحتاجون إلى الإتحاد مع الذكور لكى يضعوا البيض . لكن بيضهم غير مثمر ، ما عدا النسر الذى غالباً ما يقال أنه يخرج البيض بدون زواج . وهذا بالرغم من طول حياتهم التى غالباً تصل إلى مائة عام .

لقد قدمت لكم هذه النقاط فى تاريخ الطيور وحتى إذا رأيت أحد يسخر من هذا السر العظيم كأنه مستحيل وعكس للطبيعة أن تبقى العذراء أم بدون أن تفقد طهارتها وبتوليتها ، يمكن أن تخلص المؤمن بعظة غير العقلاء تلك التى قدمتها لنا الطبيعة بآلاف الأسباب لكى نؤمن بالمعجزة الرائعة . .

٧ ـ "لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء .." لقد تلقوا الأمر لكى يطيروا فوق الأرض لأن الأرض تمدهم بالغذاء ، "فى جلد السماء" ، كما قلنا من قبل ، وسميت جلد السماء ، لأن الهواء الذى فوق رؤوسنا يضاهى الفضاء ، ولديه كثافة هائلة وكثيف بالأبخرة التى تتبخر من الأرض . أنتم إذن لديكم سماء مزينة ، وأرض جميلة والبحر به كائنات بحرية ، والهواء ملىء بالطيور التى تطوف فى كل إتجاه . وصاحب العقل يفكر فى كل هذه الكائنات التى أخرجها الله من العدم ، فكروا فى كل ما قيل فى حديثى ، لتتجنبوا المشقة ، ولا تتجاوزوا الحدود لتتحققوا فى كل مكان من حكمة الله . ولا تندهشوا أبداً ، بل من خلال كل كائن تمجدوا اسم الله الخالق . يوجد بعض أنواع من الطيور تعيش بالليل فى وسط الظلام ، وآخرون يطيرون فى النهار فى الضوء الكامل ، فالخفافيش ، البوم

http://coptic-treasures.com

، والغراب الأسود هم طيور الليل ، وإذ أنت بالصدفة لم تستطع أن تنام ، تأمل فى هذه الطيور الليلية وخصائصها ، ومجد إسم الله صانعها . وكيف أن البلبل دائماً مستيقظ عندما يرقد على البيض ، ويقضى الليل فى الغناء؟! ..

خذ الخفاش مثلاً ، كيف وهو أحد الحيوانات يعد فى نفس الوقت حيوان وطائر؟ أنه الوحيد من الطيور الذى لديه أسنان ! وأنه يلد مثل الحيوانات ، ويخترق الهواء ويرفع نفسه ليس على الأجنحة ، لكن على نوع من الغشاء؟ ونرى مدى الحب الطبيعى بين الخفافيش بعضهم البعض ، وكيف يتشابكون مثل السلسلة المعلقة واحد على الآخر !

لكن بعض الناس ، من يفضل الحياة المنفردة والخاصة عن التجمعات فى الحياة العامة . ألا يعرف ذلك الذى يتأمل في الفراغ أعين البوم ، أن نظر البوم ثاقب خلال الليل ، لكن يزغلل من ضوء الشمس ، لذلك ذكاء هؤلاء الناس قاطع فى تأمل الأباطيل ، وهى عمياء فى وجود الضوء الحقيقى . وفى خلال النهار أيضاً ، إنه من السهل لكم أن تقدروا عظمة الخالق فى كل مكان . انظروا كيف أن الديك يدعوكم للعمل بصوته الرنان وكيف أنه مع شروق الشمس يبكر كالمسافرين ، ويرسل العمال للحصاد ! ومدى حذر الأوز ، وبذكاء شديد يتجنبون الأخطار . ألم ينقذوا ذات مرة من المرات المدينة الملكية ؟ عندما هاجمها الأعداء من طرق تحت الأرض لكى يستولوا على عاصمة روما . ألم يعلن الأوز عن ذلك الخطر؟ وهل يوجد أى نوع من الطيور لم يقدم شيئاً مثيراً للإعجاب؟ من الذى أخبر النسر أنه سوف يكون هناك مذبحة عندما يسير الرجال فى المعركة منظمين مقابل بعضهم البعض؟ فربما ترون سرب من النسور يتتبعون الجيش ويحسبون نتيجة الترتيبات الحربية ، وحساباتهم من التفكير الإنسانى .

كيف أشرح لكم الهجوم المخيف للجراد ، الذى يرتفع فى كل مكان بعد إعطائه الإشارة ، ويرتفعون فوق المدينة ؟ وأنهم لا يهجمون على المحاصيل حتى يأخذوا الأمر الإلهى . وأشرح كيفية علاج هذه الكارثة ... وكيف وهو يأكل الحشيش كأنه يلحن أغانيه؟

ولماذا كأنها تطرب فى وسط النهار ، لأنه يتنفس الهواء ويمر فى صدره؟ لكن يتضح لى أنه فى شرح روائع الكائنات ذات الأجنحة . عندما ترون النحل والدبور وكل هذه الكائنات الطائرة

http://coptic-treasures.com

التى تسمى حشرات و لأن جسمها مجزأ ، تأمل أن ليس لديها جهاز تنفسى ولا رئة ، ويساعدها أن الهواء يمر عبر كل أجزاء جسدها . لذلك سوف تهلك إذا تغطت بالزيت لأنه يسد مسامها ، وعندما تغسلها بخل ، فالمسام تتفتح وتعود إلى الحياة مرة أخرى . إن الله لا يخلق أى شىء بدون فائدة ولا يحذف شيئاً مهماً وإذا ركزت عينيك على الكائنات البحرية ، سوف تجد أن تركيباتهم مختلفة تماماً ، فأرجلهم ليست مشقوقة كرجل الغراب ، ولا ملوية كالحيوانات الضارية ، لكنها كبيرة وغشائية لذلك يسهل عليهم العوم ويدفعون المياه بالغشاء الموجود فى أرجلهم كالمجداف .

وراقبوا كيف أن البجعة تغطس رقبتها فى عمق المياه لكى تلتقط طعامها منه ، وسوف تدرك مدى حكمة الخالق فى إعطاء هذا الكائن رقبة طويلة أطول من أرجله ، وهو يلقيها كالحبل ليأخذ طعامه من قاع المياه .

٨ ـ وإذا قرأنا ببساطة كلمات الكتاب المقدس سوف نجد ألفاظ قصيرة "لتفض المياه طيور تطير فوق الأرض وعلى وجه جلد السماء" .. وإذا تأملنا فى معنى هذه الكلمات ، سوف تظهر عظمة وحكمة الخالق وكيف أنه أظهر الإختلافات بين الطيور ! وكيف فرقهم إلى أنواع . كيف ميز كل واحد منهم بخصائص مختلفة ! لكن اليوم لا يكفينى لكى أقص عجائب الجو ، الأرض تنادينى لكى أشرح الحيوانات الشرسة ، والزواحف والماشية ، مستعدة لكى تعرض بدورها مناظر آكلى النبات ، السمك والطيور . "لتخرج الأرض أنفس حية" من الحيوانات الأليفة والحيوانات الشرسة والزواحف . وما الذى تقوله ، اذا كنت لا تؤمن بالتغيير الذى وعدك به بولس الرسول فى القيامة ، عندما ترى عدة تغيرات بين الكائنات فى الجو؟ وما الذى نقوله عن دودة الهند [١٠] فهى تغيرت فى البداية إلى فراشة ثم أصبحت دودة ، ولا تكتفى بهذا الشكل بل تغلق على نفسها ، وبدل من الأجنحة لها قشرة عريضة ومتحركة ، لذلك أيها النساء عندما تكن مشغولات بالخياطة بالحرير الذى أرسل لكم من الصين لكى تصنعن ثيابكن الرقيقة ، تذكرن تطور هذه الكائنات ، وادركن فكرة القيامة ، ولا ترفضن الإيمان بالتغير الذى أعلنه بولس لكل البشرية .

---

(١٠) ربما يقصد دودة القز .

http://coptic-treasures.com

لكننى خجلاً من أن أرى حديثى قد تجاوز الحدود المعتادة ، وإذا اعتبرت أن كثره المواضيع التى شرحتها لكم ، قد زادت عن الحد ، لكن عندما أتأمل فى دوام الحكمة التى عملت فى إظهار الخليقة أدرك كيانى أنا ، لكن مع بداية قصتى ، بالرغم من ذلك ، قد أفدتكم كثيراً . وما الذى سنفعله حتى المساء ؟ إنك لا تنتظر ضيوفاً ولا ينتظرونك فى مأدبة ، لذلك دعنى أستغل هذا الصيام الجسدى لكى أفرح روحك . أنت انماً تخدم الجسد للمتعة ، أما اليوم فاستمر فى خدمة الروح . تلذذ بالرب وهو سوف يعطيك رغبة قلبك ، هل تحب الثراء ؟ جيد .. هنا يوجد ثراء روحى .

إن أحكام الله كلها حقيقية وصحيحة وأنها أشهى أكثر من الذهب والأحجار النفيسة (مز١٩ :١٩) هل تحب الملذات ؟ .. شاهد أقوال الله ، وهى لصحة الروح أجمل من عسل النحل وقطر الشهد (مز١٩ :١٠) . فإذا جعلتك تذهب وإذا لم تحضر هذا الإجتماع ، البعض سوف يجرى إلى القمار وهناك سوف يجدون اللغة البذيئة ، ومشاجرات ونزاع وحب للمال . وهناك يقف الشيطان ، ويشعل الغضب بين الناس ، وينقل نفس كمية المال من جنب المائدة إلى الجانب الآخر . والآن يعظم واحد وينصره ويلقى بالآخر فى اليأس ، وينافق واحد ويشوش على منافسه . وما فائدة الصيام الجسدى اذن ، اذا كانت الروح تمتلىء بأخطاء وشرور لا تحصى ؟ . فالذى لا يلعب يقضى فراغه فى مكان آخر ، وكم من الإستهزاء يأتى من فمه! وكم من حماقات تصيب أذنيه . المتعة لمن لا يعرفون مخافة الله ، ولا يعرفون قيمة الوقت هى مدرسة للرذائل . وأتمنى أن تكون كلماتى ذات فائدة ، وعلى الأقل إنشغالكم هنا يمنعكم من الأخطاء . لذلك كلما احتفظت بكم لمدة أطول ، كلما أصبحتم بعيدين عن طريق الشر ، والحاكم العادل سوف يعتبر أنى قلت ما يكفى ، حتى إذا لم يعتبر بغناء الخليقة ، لكن إذا فكر فى ضعفنا وفى المقياس الذى يجب أن يحتفظ به كل واحد ، لكى يصل إلى السعادة . فالأرض ترحب بكم بزرعها ، والمياه بسمكها ، والجو بطيوره ، واليابسة أيضاً بدورها مستعدة لتقدم لكم كنوزها الثمينة . لكن دعنا نضع النهاية لمائدة هذا الصباح ، لأنى خائف أن التخمة ربما تعكر مزاجك فى المساء . والله هو الذى ملء كل شىء بعمله للخليقة وترك فى كل مكان شىء ظاهر ليذكرنا بعجائبه ، يملأ قلوبكم بكل فرح روحى فى المسيح يسوع ربنا ، الذى له المجد والقوة إلى الأبد آمين .

http://coptic-treasures.com

العظة التاسعة

خلقة الحيوانات البرية

١ ـ هل أعجبكم عرض حديثى فى الصباح ؟ بالنسبة لى كان لى العزم الأكيد الذى لفقير فى يوم عيد ، الذى لديه طموح أن يقدم مائدة جيدة ، يحزن بسببها الضيف لأنها أكثر من موارد الفقير وهى تعج بأغلى أنواع الطعام ، وهو فى زهو ينفق بلا حساب مغطياً مائدته بكل أنواع الطعام ، بطموحه فى إرضاء الضيف على حساب نفسه يظهر غباءه فقط . ولكم أن تحكموا إن كنت قد اشتركت بنفس الطريقة . على كل حال فعلى الأقل لم يهمل حديثى أحد . فهوذا لم يرفض أحد الجلوس على مائدة أليشع ، وهو الوحيد الذى أعطى أصدقاءه قثاء برية (٢مل٤ :٣٩) .

أنا لى معرفة بطريقة التفسير الرمزى ، وأن كان أقل من عمل آخرين . هناك هؤلاء الذين بالحقيقة لا يقدرون الإحساس الحقيقى للكتاب ، الذى لهم الماء ليس ماءاً ، ولكنه شىء آخر ، الذين يرون فى النبات والسمك أشياءاً حسب هواهم ، الذين يغيرون طبيعة الزحافات ووحوش البرية تناسب رمزيتهم . مثل هؤلاء الذى يفسرون الأحلام ، يفسرون الرؤى فى النوم لكى تخدم أغراضهم هم . بالنسبة لى العشب هو عشب ، النبات والسمك ووحش البرية والحيوانات الأليفة، أنا آخذها بمعناها الحرفى [١١] . "لأنى لا استحى بالإنجيل" (رو١ :١٦) .

هؤلاء الذين كتبوا عن طبيعة الكون قد ناقشوا طول الأرض . وإن كانت كروية أو اسطوانية ، أو كانت تشبه القرص متساوى الدائرة فى جميع أجزاءه ، أو لو كانت تشبه مذارة الحنطة ومجوفة من الوسط ، كل هذا التخمين الذى اقترحه العلماء فى نشأة الكون ، وكل منهم يغير كلام سلفه . لن يقودنى هذا أن أقلل من إهتمامى بخلقة الكون ، هذا الذى صمت خادم الله موسى

(١١) ربما كان يقصد بهذا الكلام العلامة أوريجانوس لأنه صاحب المدرسة الرمزية .

http://coptic-treasures.com

تجاه مظهره ، فلم يقل أن قطر الأرض مائة وثمانون فرلنغ [١٢] ، لم يقس إلى أى مدى يكون ظلال الأرض على الهواء ، بينما الشمس تدور حولها . ولم يقل كيف يزج هذا الظل بنفسه أمام القمر ، محدثاً الخسوف . لقد مر فى صمت عن ما ليس له فائدة.. هل أفضل أنا الحكمة الجاهلة عن وحى الروح القدس ؟ إليس من الأفضل أن أفرح الذى لم يرد أن يملأ عقولنا بهذه التفاهات، لقد نظم الكتاب المقدس من وجهة نظر التهذيب وجعل أنفسنا كاملة ؟ هذا كله يبدو لى أن هؤلاء الذين أعطوا لأنفسهم الطرق الملتوية للرمزية لم يفهموه ، وأخذوا على عاتقهم أن يعطوا حق المهابة لإختراعهم للكتاب المقدس . إنهم يظنون أنهم أكثر حكمة من الروح القدس ، ويقدموا أفكارهم هم تحت حجة التفسير ، لنسمع الكتاب المقدس كما هو مكتوب .

٢ ـ "لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها" (تك ١ : ٢٤) .. عجيبة هى كلمة الله المنتشرة فى الخليقة ، مبتدئة حتى من هذا الزمن البعيد ، ـ فياللروعة ـ حتى وقتنا هذا ، وستظل كما هى حتى نهاية العالم ! مثل كرة يدفعها أحد ، و قابلت منحنى تتدحرج محمولة بشكلها وطبيعة الأرض ، ولا تقف إلى أن تقابل أرض مستوية ، وهكذا الطبيعة بمجرد أن تبدأ التحرك بالأمر الإلهى ، تتخطى الخليقة بخطوة واحدة ، من خلال الميلاد والموت ، وتحفظ تتابع الكائنات من خلال التشابه إلى المنتهى . الطبيعة دائماً تجعل الفرس ينتج فرساً ، الأسد ينتج أسداً، النسر يصير إلى نسر ، وتحفظ كل حيوان بهذا التسلسل الغير منقطع ، ترسله إلى منتهى جميع الأشياء . إنك لا ترى الخصائص التى توجد فى الحيوانات ، تمحى أو تحطم برغم طول الوقت ، فطبيعتهم وكأنها وضعت فيهم الآن ، تتبع توالى الزمن ، دائماً متجددة .

"لتخرج الأرض ذوات أنفس حية " .. هذا الأمر لا يزال والأرض لا تكف عن طاعة الخالق . لأن إذا كانت هناك كائنات دائماً تأتى من السلف ، هناك أيضاً الذين نراهم حتى اليوم يولدون من الأرض نفسها . فى الطقس الرطب تجلب لأرض الجندب [١٣] ، وعدد خيالى من الحشرات التى تطير فى الهواء وليس لها إسم لأنها صغيرة جداً . هى أيضاً تجلب الفئران والضفادع . فى طيبة فى مصر ، بعد مطر غزير فى طقس حار ، البلد تمتلىء بفئران الحقل .

---

(١٢) الفرلنغ : مقياس الطول يساوى ٢٢٠ ياردة أو ثمن ميل .
(١٣) جراد صغير عرف بالقبوط .

http://coptic-treasures.com

نرى أن الطين وحده يجلب الأنقليس [١٤] وهذه لا تأتى من بيضة . ولا بأى طريقة أخرى ، إنها الأرض وحدها التى تعطيهم الحياة . لتخرج الأرض ذوات أنفس حية .

الأغنام أرضية ومنحنية إلى الأرض . الإنسان كائن سماوى ، يرتفع فوقهم كما بتكوين جسده وأيضاً بكرامة روحه . ما هو شكل الحيوانات التى على أربع أرجل ؟ أن رأسهم منحنية إلى الأرض وتنظر إلى بطنها وفقط تتابع إحتياجات بطنها . أما رأسك أيها الإنسان ترتفع إلى السماء ، عينيك تنظران إلى فوق ، إلا أنك عندما تنحدر بآلام الجسد ، تصير عبداً لبطنك وشهواته . فأنت تصل إلى الحيوانات بدون سبب وتصير مثلهم . أنت مدعو لأشياء أكثر نبلاً ، "فأطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله" (كو٣:١) ارفع نفسك فوق العالم ، خذ لنفسك سلوكاً متكيفاً وقانون الأرض الطبيعى ، إجعل حديثك فى السماء ، فموطنك الحقيقى هو أورشليم السمائية ، وأهل بلدك هم "كنيسة الأبكار مكتوبين فى السماويات" (عب ١٢:٢٣) .

٣ ـ "لتخرج الأرض ذوات أنفس حية" .. عندما ظهرت نفس الحيوانات الشرسة لم تخبأ فى الأرض وإنما ولدت بأمر الله . الحيوانات لها نفس واحدة . مظهرها الذى تشترك فيه هو عدم وجود العقل ، ولكن حيوان يفترق عن الآخر بصفاته الغريبة . الجاموس رزين ، الجحش كسلان ، الحصان لديه عاطفة قوية ، الذئب لا يمكن أن يروض . الثعلب مكار ، الغزال رقيق ، النملة منتجة ، الكلب شاكر ووفى فى صداقته .وكل حيوان يخلُق ظهرت فيه طبيعته المميزة فى حينها in due measure ، فى الأسد روحه القوية وحب حياة الوحدة ، فهو شخصية غير إجتماعية وهو المستبد الحقيقى على الحيوانات ، فهو فى طبيعته المعاندة يسمح لقليلين أن يشتركوا فى ملكه . وهو يلفظ طعام الأمس ولا يعود إلى بقايا فريسته . الطبيعة أعطت أحباله الصوتية من القوة الكثيرة ، فكثير من الحيوانات أسرع منه ولكنهم يقعون بزئيره وحده . الأسد الأمريكى panther قوى وسريع فى قفزاته ، عنده جسم مناسب لحركته وخفته ، ويتماشى مع حركات نفسه . الدب عنده طبيعة بطيئة وذات شخصية ماكرة ، وهو يحب السرية للغاية . ذلك عنده جسم يتماشى مع طبيعته ، ثقيل ، سمين ، بدون مفاصل تناسب إقامته فى أوكاره الباردة .

---

(١٤) نوع من الأسماك الصغيرة .

http://coptic-treasures.com

عندما نفكر فى الطريقة الطبيعية والغريزة التى لهذه المخلوقات فبدون منطق يهتمون بحياتهم .

سنضطر أن ننظر إلى أنفسنا ونفكر فى خلاص أرواحنا ، أو سنحاكم أكثر عندما نوجد لا نستطيع حتى أن نفعل مثل الحيوانات المفترسة . الدب الذى يُجرح كثيراً بشدة يهتم بنفسه وبمهارة يملأ الجروح بآذان الدب (mullein) وهى زرعة طبيعية تنفع جداً . الثعلب يضمد جروحه بالتنقيط من نبات صنوبرى (pine tree) . السلحفاة وقد تبطنت بلحم الأفعى ، تجد فى ثمار السمسق [١٥] ترياق ضد هذا الحيوان السام . والأفعى تشفى عينيها النحيلتين بالأكل من نبات الشمار . ألم تتفوق الحيوانات بذكائها الفطرى فى احتياطها للتغيرات الجوية . ألا نرى الخراف ، عند إقتراب الشتاء يأكلوا النجيل بشراهة ، كأنهم يحتاطون ندرته فى المستقبل . ألا نرى أيضاً الجاموس ، محبوس طويلاً فى فصل الشتاء ، يلاحظ اقتراب الربيع بحاسة طبيعية وينظر إلى نهاية الأسطبل نحو الباب ، وكلهم يلفون رؤوسهم هناك كموافقة جماعية؟ العلماء لاحظوا أن القنفد يفتح فتحتين عند أطراف جحره . إذ أتت الرياح من الشمال يغلق الفتحة التى من الشمال ، وإذا جاء الهواء من الجنوب يذهب الحيوان نحو الباب الشمالى .

ماذا يتعلم الإنسان من هذه الحيوانات ؟ هى لا تظهر لنا إهتمام خالقنا الممتد لكل المخلوقات فحسب ، بل الشعور المسبق بالمستقبل حتى فى الحيوانات الوحشية . وأيضاً لا نحب أن نتعلق بهذا العالم الحاضر ، بل يجب أن نعطى كل الإهتمام إلى ما سيأتى . ألا تكون مثمراً لنفسك أيها الإنسان؟ ألا تعد لنفسك فى الأيام الحاضرة راحة فيما سيأتى ، بعدما رأيت ما تفعله النملة؟ فالنملة فى الصيف تجمع كنوز للشتاء . لا تعطى نفسها للكسل قبل أن يبدأ فصل الشتاء القارص بل تعمل بجدية مطلقة إلى أن تتأكد أنها ملأت مخازنها . هنا نرى ثانية كيف أن هذا العمل بعيد عن الكسل !! بأى بعد نظر ذكى ، تستطيع أن تبقى احتياطها لأطول فترة ممكنة ، بالكماشة تقطع الحبة إلى نصفين لئلا تنبت ولا تصلح لطعامها . لو كانوا رطبين فهى تنشفهم ، ولا تعرضهم للجو الخارجى فى جميع الأحيان ، بل فقط حينما تشعر أن الهواء سيظل حرارته طفيفة . تأكد أنك لن ترى السماء تمطر طالما أن النملة قد تركت حبوبها بالخارج .

---

(١٥) السمسق نبات عطرى من الفصيلة الشفوية .

http://coptic-treasures.com

أى لغة تستطيع أن تشرح عجائب الخالق؟ أى إذن تستطيع أن تفهمهم؟ وأى وقت يكفى لرصدهم؟ لنقول إذن مع النبى "ما أعظم أعمالك يارب كلها بحكمة صنعت" (مز ١٠٤: ٢٤) . ألا نستطيع أن نقول فى أمانة ، أننا قد تعلمنا أشياء مفيدة من الكتاب ، لأن قانون الطبيعة الغير معلم يجعلنا نختار ما هو أفيد لنا . هل تعلم ما هو جيد ، المفروض عليك أن تفعله لجارك؟ الجيد الذى تنتظر أنت أن يفعله هو لك . هل تعلم ما هو الشر الذى لا تحب أن يفعله لك أحد؟ لا مباحثات علم النباتات ولا خبرة البسطاء ، تجعل الحيوانات تعرف ما هو أفيد لهم ، ولكن كل واحد منهم يعلم ما هو مفيد وصحى ويتماشى مع طبيعته بطريقة عجيبة .

٤ ـ الفضائل موجودة فينا أيضاً بالطبيعة والروح عندها مصاهرة للفضائل ليس بالتعليم . بل بالطبيعة نفسها . لا نحتاج دروس لنكره المرض ، لكن بأنفسنا نطرد ما ينتابنا ، والروح لا يحتاج إلى معلم ليعلمنا أن نتفادى الرذيلة . الآن كل رذيلة هى مرض للروح كما الفضيلة فهى صحة . الذين قالوا أن الصحة هى نظام فى إظهار الوظائف الطبيعية ، قالوا حسن هذا التعريف ، يمكن أن يقال بدون خوف لصحة الروح . اذن . بدون درس ، الروح تستطيع أن تعرف بنفسها ما يليق أو ما يطابق للطبيعة ، إذن ، نرى أن الإعتدال فى كل مكان يمجد ، العدل مكرم والشجاعة يعجب بها ، والتعقل هو هدف الكل . الفضيلة هى الروح أكثر ما الصحة هى للجسد . "أيها الأولاد أحبوا والديكم ، وأنتم أيها آلاباء لا تغيظوا أولادكم" . ألا تقول الطبيعة نفس الشيء . بولس الرسول لا يعلمنا أى شيء جديد ، بل هو فقط يوثق رباطات الطبيعة . لو أن اللبوءة تحب أطفالها ، والثعلبة تسارع لتحمى صغارها ، ماذا يقول الإنسان وهو غير مخلص للمبدأ وتنتهك الطبيعة نفسها ، أو الإبن الذى يهين سن أبيه الكبير ، أو الآب الذى زيجته الثانية تجعله ينسى أولاده الأولين؟ مع الحيوانات عاطفة لا تقهر لتجمع بين الآباء والأبناء . إنه الخالق ، الله بنفسه الذى يستبدل بقوة الإحساس ، المنطق فى داخلهم . كيف يحدث أن الحمل وهو يركض مع القطيع ، فى وسط آلاف الخراف ، يتعرف على صوت ولون أمه ، يجرى نحوها ويبحث عن مصدر اللبن . لو صدرها جاف ، فهو يكون قانع ، ويمر بدون توقف عند الأكثر منها وفرة . وكيف تعرفه أمه من بين هذا الجمع من الحملان؟ كلهم عندهم نفس الصوت ، نفس

http://coptic-treasures.com

اللون ونفس الرائحة على الأقل نفس الرائحة فى حاسة شمنا نحن . ولكن هناك فى هذه الحيوانات حاسة أرق من ادراكنا ، وهذا يجعلهم يتعرفون على ذويهم . الكلب الصغير ليس عنده أى أسنان ، ولكنه يدافع عن نفسه بفمه إذا ضايقه أحد . الجاموس الصغير ليس عنده قرون ولكنه يعلم أين سيكبر سلاحه . هنا عندنا اثبات واضح أن غريزة الحيوان فطرية ، وأن فى كل المخلوقات لا يوجد شيء بدون نظام ، لا شيء يحدث بدون علم سابق . كل شيء يحمل علامات من حكمة الخالق ، وتبين أنها أتت إلى العالم بطرق تأكد بقائها . الكلب ليس موهوب بقوة المنطق ، ولكن فى داخله غريزة عندها قوة المنطق ، الكلب قد تعلم من الطبيعة سر تخمين محكم ، هذا الذى لم يستطع حكماء العالم بعد دراسات عديدة إستطاعوا أن يفسروها عندما يكون الكلب فى مضمار اللعب يبحث عن لعبة ما ، لو رآها تتفرق فى جهات مختلفة ، فهو يبحث فى كل جهة ،ـ والكلام وحده لا يقدر أن يشرح تفكيره ـ بالطبيعة هو يقول قد ذهبت هنا أو هناك أو فى جهة أخرى ، وأن تكن هنا أو هناك فهى إذن فى الجهة الثالثة . وهكذا يهمل الجهات الغير صحيحة ، حتى يكتشف الصحيحة . ماذا يقدم أكثر من هذا للذين هم مشغولين فى عرض نظريات ، ورسم خطوط على الرمل ويرفضون طريقتان ليثبتوا أن الثالثة هى الصحيحة . ألا يُخجل الكلب كل الذين يتذمرون على ذويهم؟ لقد قيل أن كثير من الكلاب قد وجدوا ميتين عند قتل ذويهم فى أماكن مهجورة . وآخرين عند حدوث جريمة ، يقودون هؤلاء الذين يبحثون عن القتلة ، ويتسببون فى القبض على المجرمين والمثول أمام العدالة . ماذا يقول هؤلاء غير القانعين بحب السيد الذى خلقهم وأطعمهم ، لهم أفواه تهاجم الله ، ويجلسون معهم على مائدة واحدة ، وهم يأكلون يجدفون على الذى أعطاهم هذا الطعام .

٥ ـ ولكن هيا بنا نرجع إلى موضوع الخليقة . أسهل الحيوانات فى مسكها ، هى أكثر الحيوانات تكاثراً . على هذا الكلام نرى أن الأرانب البرية والماعز الوحشية عندهم صغار كثيرين ، والخراف البرية عندهم توائم ، خوفاً على هؤلاء الحيوانات من الإنقراض ، مأكولين بالحيوانات آكلة اللحوم . أما الحيوانات المتوحشة ، على العكس عندهم أولاد قليلون ، فاللبوءة بصعوبة تنجب أسداً واحداً ، لأن لو كانوا كما يقولون فإن الأسد الصغير يمزق أعضاء أمه بمخالبه وهو يخرج

http://coptic-treasures.com

منها . والأفاعى يولدون بنهش رحم أمها ، إنهم يعاقبون أمهم بعنف . كل شىء فى الطبيعة مدروس من قبل ، وكل شىء موضع إهتمام دائم . إذا درست أعضاء الحيوانات سترى أن الخالق لم يعطيهم أى شىء لا يحتاجونه ، ولم يمح أى شىء ضرورى .

للحيوانات آكلة اللحوم أعطاها أسنان حادة ، تحتاجها طبائعهم ، هؤلاء الذين ليس عندهم أسنان كاملة أعطوا بضعة أوعية متميزة للطعام ، لأن الطعام لا يكسر جيداً فى الأول ، يستطيعون أن يستعيدوه بعد أن يبلع وهو لا يصير طعاماً إلى أن يكسر عن طريق الإجترار . وأن البطون الأربعة للحيوانات المجترة لا تبقى بلا عمل ، بل كل واحدة فيها تقوم بمهمة ، رقبة الجمل طويلة جداً ، فيقدر أن ينزلها إلى أرجله ، ويصل إلى الحشائش التى يأكلها . الدببة والأسود والنمور وكل الحيوانات الشبيهة لها عنق قصيرة مدفونة فى أكتافهم ، هذا لأنهم لا يحتاجون أن ينحنوا إلى الأرض . إنهم آكلة لحوم ، يأكلون الحيوانات التى يصطادونها . لماذا للفيل خرطوم (ذلومة) ؟ هذا الحيوان الضخم ، أكبر الحيوانات على الأرض ، الذى خلق الرعب لكل الذين يقابلونه ، طبيعته ضخمة ومملوءة لحماً . لو كان عنقه طويل ، بنفس نسبة رجليه ، لكان صعب عليه توجيهه ، ووزنه الضخم كان سيجذبه إلى الأرض ، رأسه ملتصقة للعمود الفقرى بفقرات قصيرة ، وخرطومه يأخذ مكان رقبته ، وبه يرفع الطعام والشراب . رجليه بدون مفاصل ، مثل أعمدة متصلة تحمل وزن جسمه ، لو كان مثبت على أرجل ضعيفة وبها مفاصل ، لكانت مفاصله لا تستطيع تحمل وزنه ، إذا أراد أن يركع أو يقوم ، ولكن عنده مفصل صغير تحت القدم وهذا يأخذ مكان مفاصل الرجل والركبة ، الذين كانوا مستحيل أن يحتملوا ضخامته . لذلك يحتاج إلى خرطومه الذى تقريباً يصل إلى قدميه ، هل رأيتهم فى الحرب على رأس الكتيبة مثل أبراج حية ، أو يحطمون كتيبة الأعداء مثل جبال جسدية بقوتهم التى لا تقاوم؟ لو كانت أجزائهم السفلية ليست مناسبة لأحجامهم ، لم تكن تقدر أن تحملها ، الآن يقال لنا أن الفيلة تعيش ثلاث مائة سنة وأكثر ، هذا سبب آخر ليكون لهم أرجل بدون مفاصل . لكن كما قلنا أن خرطومه التى لها شكل مرونة الثعبان ، تأخذ الطعام من الأرض وترفعه إلى فوق . لذلك نحن محقون حينما نقول أنه مستحيل أن نجد أى شيئاً زائداً أو ناقصاً فى الخليقة . وإذا كان الرب قد

http://coptic-treasures.com

جعل هذا الحيوان الضخم تحت أمرنا ، فهو يفهم درسه ويحتمل الضرب منا . هذا دليل أن الخالق جعل الكل تحت سيطرتنا ، لأننا خلقنا على صورته .

نحن لا نرى صعوبة فى الوصول إلى هذه الحكمة فى الحيوانات العظيمة فقط ، بل أشياء ليست أقل عجباً تراها فى أصغرها . إن قمم الجبال التى تحافظ على الخريف الدائم وهى التى تناطح السحاب وتضرب باستمرار بالعواصف ، هذا يجعلنى أتعجب أكثر من الأدوية الخاوية ، التى تهرب من العواصف العاتية وتحتفظ بحرارة معتدلة . فى نفس الطريقة فى تكوين الحيوانات ، أنا لا أتعجب من حجم الفيل أكثر من حجم الفأر الذى يخاف منه الفيل ، أو من لدغة العقرب التى خلق لها مثل خرطوم بمشيئة المبدع ، كى ترمى السم داخل الجرح الذى تفعله . لا تجعل أحد يتهم الخالق بخلق حيوانات سامة مدمرة وأعداء لحياتنا . ولا يجب أن تعتبروا المعلم الذى يؤدب الطلبة مستخدماً السوط والعصا لكى يحفظ النظام ، كأنه يفعل جريمة .

٦ ـ الحيوانات تشهد للإيمان . هل لك ثقة فى الله ؟ على "الأسد والصل تطأ الشبل والثعبان تدوس" (مز ٩١ : ١٣) بالإيمان ، لك القوة أن تدوس الثعابين والعقارب . ألا ترى أن الثعبان الذى أمسك بيد الرسول وهو يجمع الحطب لم يؤذيه لأنه وجد القديس مملوءاً بالإيمان ؟ إذا كان ليس لك إيمان ، فلا تخف من الحيوانات أكثر من خوفك من عدم إيمانك ، الذى يجعلك عرضة للفناء . لكن أرى أن الزمن طويل أنتم تسألوننى على استفسار عن خلقة الإنسان وأعتقد أننى أسمعكم تبكون داخل قلوبكم . نحن نتعلم طبيعة انتمائنا ، ولكن نجهل أنفسنا . لذلك سأتكلم، لأنه ضرورى ، ولأجعل نهاية لتترددى . فى الحقيقة ، أصعب العلوم أن يعرف الشخص نفسه ، ليست فقط أعيننا التى لا يفوتها شىء خارجنا ، لا تقدر أن تراه ، بل عقولنا أيضاً التى تتعمق لتكشف أخطاء الآخرين وتبطىء فى كشف أخطاء صاحبها . لذلك فبعد سرعتى فى تحرى ما هو خارجى ، ستجد كلماتى بطيئة ومترددة فى إكتشاف طبيعتى . لكن التأمل فى السماء والأرض لا يجعلنا نعرف الله أكثر مما نعرفه حينما ندرس أنفسنا بدقة .

"صنعت خوفاً وعجباً" (مز ١٣٩ : ١٤) ، معنى هذا أن فى دراسة نفسى عرفت حكمتك الغير محدودة . وقال الله "لنعمل الإنسان" (تك ١ : ٢٦) ألا يضىء النور الإلهى فى هذه

http://coptic-treasures.com

الكلمات كأنه فى نافذة ؟ ألا يظهر الشخص (الأقنوم) الثانى نفسه بطريقة روحية ، بدون إظهار نفسه إلى ملء الزمان ؟ أين اليهودى الذى قاوم الحقيقة واعتبر أن الله يكلم نفسه فهو الذى تكلم وهو الذى خلق . قال ليكن هناك نور فكان . ولكن كلماتهم تحوى سخفاً عظيماً .. أين الحداد والنجار والإسكافى الذى وحده قبل وجود أدوات صناعته كان يقول لنفسه ، لنصنع السيف ، لنجمع المحراث ، لنصنع الحذاء ؟ ألا يعمل فى فنه بصمت ؟ شىء غريب أن نقول أن أحداً جلس ليأمر نفسه ، ليراقب نفسه ، ليمنع نفسه ، ويزيد سرعة نفسه بصوت السيد . ولكن المخلوقات التعيسة ليست خائفة من أن تظلم الله نفسه . ماذا يقولون بلسان متمرن فى الكذب ؟ هنا ، الكلمات تسكتهم ، قال نعمل الإنسان .. قل لى هل هناك شخص واحد فقط ؟ لم يذكر الكتاب لأعمل الإنسان ، بل "لنعمل الإنسان" . التعليم اللاهوتى مازال مغلفاً فى الظل قبل الظهر الذى كان منتظراً ، ولكن الآن الخليقة الإنسانية تتوقع الإيمان أن يظهرها وحقيقة العقيدة تظهر فى كل نورها . "لنعمل الإنسان" .. يا أعداء المسيح ، اسمعوا الله يتكلم للواحد معه (الإبن) الذى له وبه خلق العالم . لحامل كل الأشياء بكلمة قدرته . لكنه لا يترك صوت الدين الحقيقى بدون إجابة. اليهود يتسابقون بعداء ضد الحق . عندما يجدون أنفسهم محاصرين ، يتصرفون مثل الحيوانات المتوحشة الغاضبة من الإنسان ، الذين يزأرون عند قضبان قفصهم ويظهرون قسوة وشراسة طبيعتهم ، بدون قدرة على أن يسكنوا من غضبهم . يقولون أن الرب يعلن نفسه لعدة أشخاص ، هو قال للملائكة لنعمل الإنسان .. أكاذيب يهودية ، وخرافة تافهة تتضح بسهولة متى قدمت ؟ أنهم يرفضون شخصاً واحداً ، ويقبلون كثيرين ، إنهم يرفضون ابن الله ويرفعون الخدم لكرامة المستشارين ، يجعلون العبيد وسطاء فى خلقتنا . الإنسان الكامل يصل إلى كرامة الملاك ، ولكن من من الخليقة يمكن أن يكون مثل الخالق ؟ اسمع باقى الآية "علي صورتنا كشبهنا" ماذا عندكم كإجابة ؟ هل هناك صورة وشبه واحد لله والملائكة ؟ إن الآب والإبن بكل تأكيد عندهم نفس الصورة والشبه ، ولكن الصورة هنا بمعنى مثل الخالق ليس فى الشكل الجسدى ، بل فى طبائع الله . . اسمعوا أيضاً ، أنتم الذين تنتمون إلى المختونين حديثاً (فى٣:٣) ، آخذين مظهر المسيحية وتزجون بأخطاء اليهود . لمن يقول على صورتنا كشبهنا ؟ . لمن إن لم

http://coptic-treasures.com

يكن لمن هو "بهاء مجده ورسم جوهره" (عب ١:٣) الذى هو "صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة" (كو ١:١٥) لذلك قال له هو بصورته الحية "أنا الآب واحد" (يو ١٠:٣٠) و "من رآنى فقد رأى الآب" (يو ١٤:٩) ويقول الله لنعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا . أين الإختلاف فى هؤلاء الإثنين الذين لهم شكل واحد؟ "فخلق الله الإنسان" (تك ١:٢٧) ، لم يقل خلقوا ، هنا الكتاب يتحاشى الجمع ، بعد أن أنار لليهود ، يمحى خطأ الأمم ، حتى يضعوا أنفسهم تحت حماية الواحد ، ليجعلك تفهم أن الإبن فى الآب ويحرسك من خطر عبادة إلهه متعددة . هو خلقه على شكل الله . الله يظهر لنا الواحد معه ، لأنه لا يقول فى صورته بل فى صورة الله وشبهه .

إن سمح الله ، سنقول فى وقت آخر كيف خلق الإنسان على شكل الله ، وكيف هو شبهه ، الآن نقول كلمة واحدة ، لو كان هناك صورة واحدة ، من أين أتى التجديف الغير محتمل ، الذى يقول أن الإبن ليس مثل الآب ؟ يا للكفر ، أنتم أنفسكم أخذتم هذا الشبه وترفضوه لسيدكم ! تدعون أن ما هو لكم بالحقيقة إنما موهبة من النعمة ، ولا تريدون أن يحتفظ الإبن بشبهه الطبيعى الذى ولده . لكن الليل الذى منذ فترة طويلة أرسل بالشمس إلى الغرب ، يجبرنى على الصمت هنا ، لأكون راضياً عما قلته ، ولا خلد حديثى للفراش . لقد قلت لكم ما يكفى إلى هذه النقطة ، لكى أثير حماسكم ، بمساعدة الروح القدس سأعمل بحث أعمق فى الحقائق التالية . اذهبوا اذن بفرح أيها الشعب المحب للمسيح ، بدل من أطباق مملوءة بطعام شهى، زينوا وقدسوا مائدتكم بذكر كلامى . ليكن الوثنى (Anomoean) بغيض ، واليهودى مغطى بخزى، والمؤمن فرح فى عقيدة الحق . والله ممجد .

الله الذى له المجد والقوة إلى الأبد آمين

http://coptic-treasures.com

الفهرس

تقديم نيافة الأنبا بطرس
المقدمة ٩
مقدمة السداسية ١١
العظة الأولى : فى البدء خلق الله السموات والأرض ١٣
العظة الثانية : كانت الأرض خربة وخالية ٢٤
العظة الثالثة : الجلد ٣٥
العظة الرابعة : لتجتمع المياه إلى مكان واحد ٤٥
العظة الخامسة : إنبات الأرض ٥٢
العظة السادسة : خلق الأجسام المضيئة ٦٣
العظة السابعة : خلق الزحافات ٧٧
العظة الثامنة : خلق الحيوانات المائية ٨٦
العظة التاسعة : خلق الحيوانات البرية ٩٧
الفهرست ١٠٧

http://coptic-treasures.com

http://coptic-treasures.com

السداسية هى عنوان لتسع عظات القاها القديس باسيا
كبير عن نشأة الكون فى الاصحاحات الأولى من سفر التك
وهى عظات رائعة ، وجدنا أنه من المفيد لكنيستنا الق
شعبها الأصيل المبارك ، سلالة القديسين ، ان نقدم له
عمل المتواضع ، وهو ترجمة للهيكساميرون أو ستة أيام إ
ى يتمتعوا معنا بأقوال آبائنا القديسين .

القمص

بيشوى الأنطونى

يطلب من مكتبة الرجاء
١٨ شارع النزهة ـ سانت فاتيما مصر الجديدة
ت : ٢٤٤٥٧٧٤ والمكتبات المسيحية الأخرى

http://coptic-treasures.com